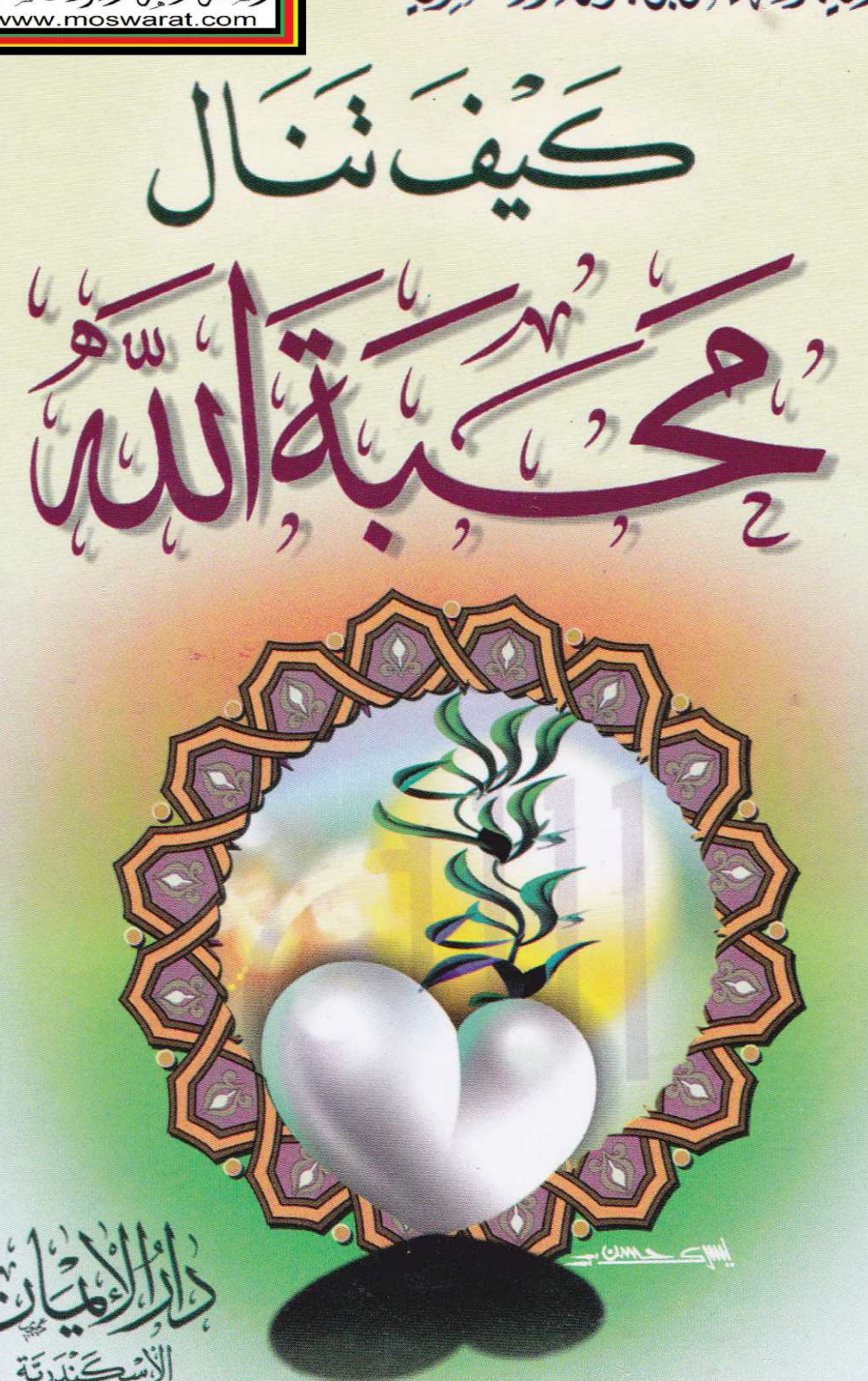
جمع وترتيب
أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

كيف تنال محبة الله



دار الإيمان
الإسكندرية


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

كيف تنال

محبة الله ؟



الطبعة الثانية ٢٠١١

رقم الإيداع

٢٠٨٩٩/٢٠١٠

الترقيم الدولي

977/331/440/5



دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ١٧، ١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية

تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠٥٤١١٩١٠ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail: dar_aleman@hotmail.com

كيف تنال محبة الله؟

تأليف
أبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي
عفا الله عنه






بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدهُ ونستَعينَهُ، ونستَغفرهُ، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا، وسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لَه، وأَشْهَدُ أنْ لا إِلَهَ إلاَّ اللهُ وحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عبدهُ ورَسُولَهُ.

أمَّا بَعْدُ،

فهذهِ رِسَالَةٌ بعنوان «**كيف تنال محبَّة اللهِ؟**»

ذَكَرْتُ فيها بَعْضَ الأسْبابِ الَّتي يَنَالُ بها العبدُ محبَّة اللهِ في ضَوْءِ الكِتَابِ والسُّنَّة معَ شَرْحِها شَرْحًا مُخْتَصَرًا وافيًا بالغرض من غيرِ إيجازٍ مُخلٍ، ولا تَطْويلٍ مُملّ، وبَذَلْتُ جهدي في إِخْرَاجِها بأسْلُوبٍ سَهْل المَأْخَذِ سريع الفهمِ.

وما تكلَّفُ نَفسٌ فَوْقَ طَاقَتِها

وَلا تَجُودُ يَدٌ إلاَّ بِمَا تَجِدُ

ويأبَىٰ اللهُ العصمة لغَيْرِ كتَابِه، والسَّعِيدُ من عُدَّتْ هَفَوَاته في جنب صَوَابِه.

وَلا أَدَّعي مِنْ كُلِّ عَيْبٍ خُلُوّه
فإِنَّ كَمَالَ العَبْدِ يسْتَصْحِب النقصا

وأسألُ اللهَ - بأَسْمَائه الحُسْنَىٰ وصفاته العُلىٰ - أنْ يَجْعَلَ هَذَا العَمَلَ مُباركًا نَافِعًا ولوجْهِه الكريم خالصًا، ولا يَجْعَل لأحَدٍ منْهُ شيْئًا، وأَنْ يجزِي خَيْرَ الجَزَاء كُلّ مَنْ أَعَانَ عَلَىٰ طَبْعهِ وإخْرَاجِهِ ونَشْرِهِ.

وآخرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبّ العَالَمِين.

وكتبه

أبو عبد الله

فيصل بن عبده قائد الحاشدي

الحبُ والمحبَّة منْ صِفاتِ اللهِ - سبحانهُ وتعالى -

الحُبُّ والمَحَبَّة منْ صِفَاتِ اللهِ - سُبْحانَهُ وتعالىٰ - الفعْليَّة الاختيارِيَّة الثَّابتَة بالكتَابِ والسُّنَّة.

فَأَهْلُ السُّنَّة والجماعة يُثْبتونَ صفة الحب والمحبة لله -سبحانه وتعَالىٰ- ويقولونَ: هيَ صِفَةٌ حَقيقيَّةٌ لله - سُبْحانه وتعَالَىٰ - ، علَىٰ ما يَليقُ به، وليسَ هي إرَادَة الثَّوَابِ؛ كَمَا يَقولُ المؤَوِّلةُ، كما يُثبتُ أَهْلُ السُّنَّة لازم المَحَبَّة وأثرها، وهو إرَادَةُ الثَّوَابِ وإِكْرَامُ مَنْ يُحبُّهُ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ -.

الدَّليل من الكتاب:

١ - قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

٢ - وقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) ﴾ [البَقَرة: ٢٢٢].

٣ – وقَالَ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ – : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة : ١٣] .

الدَّليل من السُّنَّة :

١ – عَنْ أبي هُرَيرَةَ – رضي الله عنه – عَنِ النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – قال : «**إِذَا أَحبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَىٰ جبريلَ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأَحِبَّه ، فيُحِبُّه جبريلُ ، فيُنادي جبريلُ في أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ ، فيُحِبُّه أَهْلُ السَّماءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القبولُ في الأَرْضِ**» (١) .

٢ – وعَنْ عائشة – رضي الله عنها – قَالَتْ : أَنَّ النَّبيَّ – صلى الله عليه وسلم – بَعَثَ رَجُلاً عَلَىٰ سريّة ، وَكَانَ يَقْرأُ لأَصْحَابِهِ في صلاته فَيَخْتمُ بـ(قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد) ، فلَمَّا رجَعُوا ذَكَروا ذلك للنَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ : «**سَلُوهُ لأي شَيْءٍ يصنعُ ذَلِكَ ؟**» فَسَأَلُوهُ ، فَقَالَ : لأنّها صِفةُ الرَّحْمَنِ ، وأَنا أُحبُّ أَنْ أَقْرَأَ بها ، فَقَالَ النَّبيُّ – صلى الله عليه وسلم – : «**أخبروه أنَّ اللَّهَ يُحبُّه**» (٢) .

---

(١) رواه البخاري (٦٦٤٠) ، ومسلم (٢٦٣٧) .

(٢) رواه البخاري (٧٣٧٥) ، ومسلم (٨١٣) .

٣ - وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
«إِنّ أَحَبَّ أسْمَائِكُم إِلَىٰ اللهِ: عَبْدُ اللهِ، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ».

(١) رواه مسلم (٢١٣٢).

مِنْ علاماتِ محبةِ اللهِ للعَبْدِ

لاشكَّ أنَّ علامات مَحَبَّة الله لِلْعَبْدِ كَثيرَةٌ، وسَوْفَ أَذْكُرُ طرفًا مِنْهَا، فَمِنْ هَذِهِ العَلامَات:

١ - القبولُ في الأَرْضِ والمَحَبَّة في قُلُوبِ المُؤمِنِين:

مِنْ عَلامات مَحَبَّة الله لعبدِه أنْ يَجْعَلَ لَهُ القَبُولَ في الأَرْضِ والمَحَبَّة في قُلُوبِ عبادِهِ الصَّالِحِين.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦)﴾ [مريم: ٩٦].

قَالَ العَلاَّمَةُ عبد الرحمن السَّعْديّ - رحِمَهُ اللهُ - :

«هَذَا مِنْ نِعْمَةِ الله علىٰ عِبَادِه، الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الإيمان وَالعَمَلِ الصَّالح، أنْ وعدهم أنْ يجْعَلَ لَهُم وُدًّا: أي مَحبَّةً ووِدادًا في قلوب أوليائه، وَأَهْلُ السَّمَاءِ والأَرْض، وَإِذَا كَانَ لَهُمْ في القُلُوبِ ودٌّ تيسَّرَ لَهُمْ كَثِيرٌ مِنْ أُمُورِهِمْ وَحَصَلَ لهُمْ

مِنَ الخَيْراتِ والدَّعْوَةِ والإِرْشَادِ والقبول والإِمَامَة ما حَصَلَ»(١).

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أنَّ رسُولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «**إِذَا أَحبَّ اللهُ عَبْدًا نَادَىٰ جبريلَ: إِنَّ اللهَ يُحبُّ فُلانًا فأَحِبَّه، فيُحِبُّهُ جِبْريلُ، فيُنَادي جبريلُ في أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ، فيُحِبُّه أَهْلُ السَّماءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القبولُ في الأَرْضِ**»(٢).

وإِذَا أَحَبّ اللهُ يَوْمًا عبدَه   أَلْقَىٰ عَلَيْهِ مَحَبَّةً في النَّاسِ

٢ - الحفظُ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيا:

إذا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَمَاهُ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيا وحَفِظَهُ مِنْ مَتَاعِهَا وَحَالَ بَيْنَهُ وبيْنَهَا؛ فعَنْ قَتَادَةَ بن النُّعْمَان - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيا**»(٣).

---

(١) تفسير السَّعدي (٥٠١).
(٢) رواهُ البخاريّ (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧).
(٣) صحيح، أخرجه الترمذي (٢١٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٦٩٥).

قَالَ المُبَارَكفوري - رَحِمَهُ اللهُ - : «قوله: **«إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حماهُ الدُّنْيا»**: أي حفظَهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا ومَنَاصِبِها، أي حَالَ بَيْنَهُ وبَيْنَ ذَلِكَ بِأَنْ يبعدَهُ عَنه ويُعسِر عَلَيْهِ حُصُولَهُ»(١).

وقَدْ أَدْرَكَ السَّلَفُ هَذِهِ الحَقِيقَةَ فكانُوا يَعْتَبِرونَ ما زُوِيَ عَنْهُمْ مِنَ الدُّنْيَا نِعْمَة، قَالَ أَبُو حازم سَلَمَةُ بن دينار - رحِمَهُ اللهُ - : «نعمَةُ اللهِ فيما زَوَىٰ عنِّي مِنَ الدُّنْيا أَعْظَمُ مِنْ نعْمَتِهِ فيما أَعْطَانِي مِنْهَا؛ لأنِّي رَأَيْتُهُ أَعْطَاهَا قَوْمًا فَهَلَكُوا»(٢).

٣ - الابتلاء:

الابْتِلاءُ مِنْ عَلامَةِ مَحَبَّةِ اللهِ لِلْعَبْدِ، فَإِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - إِذا أَحَبَّ عَبْدًا ابْتَلاهُ.

فَعَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) تحفة الأحوذي (٦/١٥٩).

(٢) السير (٦/٩٨).

- ﷺ -: «**إنَّ عِظَمَ الجَزَاء مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ، وإنَّ اللّٰهَ إذا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُم، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، ومَنْ سَخِطَ فَلَه السَّخط**»(١).

وَلَمَّا كَانَ الأَنْبِيَاءُ والصَّالِحُونَ هُمْ أَحَبُّ الخَلْقِ إِلَىٰ اللّٰهِ - سُبْحَانَهُ وتعالَىٰ - كَانَ بَلاؤُهُمْ أَشَدَّ مِنْ غَيْرِهِمْ؛ فَعَنْ سَعْد ابْن أَبي وقّاصٍ - رضي الله عنه - قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أيُّ النَّاس أَشَدُّ بَلاءً؟.

قال: «**الأَنبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فالأَمْثَل، فيُبْتَلَىٰ الرَّجُلُ عَلَىٰ حسْبِ دِينِه، فما يبرحُ البَلاءُ بِالعَبْدِ حَتَّىٰ يَتْرُكَهُ يَمْشي عَلَىٰ الأَرْضِ، وما عَلَيْهِ خَطِيئَة**»(٢).

وكَانَ رَسُولُ اللّٰهِ - ﷺ - مِنْ أَشَدّ النَّاس بَلاءً،

---

(١) حسن، أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترمذي (٢/٢٨٦).

(٢) حسن، أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وحسَّنه الألباني في صحيح الترمذي (٢/٢٨٦).

وَيَشْتَدُّ عليه الْمَرَضُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا اشْتَدَّ عَلَيهِ الوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -»(١).

(١) رواه البخاري (٥٦٤٦)، ومسلم (٢٥٧٠).

بعضُ الأسبابِ الّتي تنالُ بها محبةُ الله

١ - الاتِّباعُ

اتِّبَاعُ النَّبيِّ - ﷺ - في أقواله وأفعاله وأخلاقه توجب حُبّ الله للعَبْد، يَدُلُّ علىٰ ذَلكَ قَوْلُ الله -سُبْحانَهُ وتَعَالَىٰ-: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١)﴾ [آل عمران: ٣١].

قَالَ ابْنُ كثيرٍ - رحِمَهُ اللهُ -: «هَذهِ الآيَة حَاكِمَة عَلَىٰ كُلِّ مَنِ ادَّعَىٰ مَحَبَّةَ الله، ولَيْسَ هُوَ علَىٰ الطَّرِيقة المُحَمَّديَّة؛ فإنَّهُ كاذبٌ في دَعْوَاهُ في نَفْسِ الأَمْرِ حَتَّىٰ يتَّبعَ الشَّرْعَ المُحَمَّدي والدِّين المُحَمَّديّ في جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وأَفْعَالِه»(١).

قَالَ ابنُ القَيِّم - رَحِمَهُ اللهُ -: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ إشارةٌ إلَىٰ دليلِ المَحَبَّةِ وَثَمرَتِهَا وفَائدَتِها؛ فدَليلُها وعلامتُها اتّباعُ الرَّسُولِ - ﷺ - وفائدَتها وثمرتها مَحَبَّة المرسِل لكم، فما

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/ ٣٥٨).

لَمْ تَحْصُلِ المُتابَعَة فلَيْسَتْ مَحَبَّتكم له حَاصِلَة، ومَحَبَّته لكم مُنْتَفية »[١].

يَا مُـدَّعِي حُبَّ طَهَ لا تُخَالِفُهُ

الخُلْفُ يَحرمُ في دُنْيَا المُحِبِّينا

أَرَاكَ تَأْخُذُ شَيْئًا مِنْ شَرِيعَتِه

وتَتْرُكُ البَعْضَ تَدْوِينًا وَتَهْوِينا

خُذْها جَمِيعًا تَجِدْ خَيْرًا تفُوزُ به

أَوْ فاطْرَحْهَا، وَخُذْ رِجْسَ الشَّيَاطينا

وما مِنْ شَكٍّ أنَّ الاتباعَ أحَدُ أَصْلَي الإسْلام الأسَاسيَّيْن:

الأَصْلُ الأَوَّلُ - الإِخْلاص وإفراد الله - سُبْحانَهُ وتَعَالَىٰ - بالعبادَةِ هُوَ حَقيقَةُ إيمانِ العَبْد وشَهَادَته بأنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله، والاتباع والتَّأسِّي برسولِ الله - ﷺ - هو حقيقة إيمان العَبْد وشهادته بأنَّ محمداً رسولُ الله - ﷺ -؛ فلا يتحقق إسلامُ عَبْدٍ ولا يُقْبلُ مِنْهُ قولٌ ولا عَمَلٌ ولا اعتقاد إلاَّ إذا

(١) «مدارج السَّالكين (٢٢٣).

حَقَّقَ هذين الأصلين (الإخلاص والمُتابعة) وأتىٰ بمقتضاهما؛ قَالَ اللهُ - سُبْحانَهُ وتَعَالَىٰ - : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

قَالَ ابنُ كَثيرٍ - رحمهُ اللهُ - : «وهذان ركنا العمل المتقبَّل؛ لابدّ أنْ يكونَ خَالصًا لله، صوابًا عَلَىٰ شَرِيعَةِ رسولِ اللهِ - ﷺ - »[١].

وقَالَ ابنُ تيميةَ - رحمَهُ اللهُ - : «وبالجُمْلَةِ فَمَعَنَا أصْلان عظيمان، أحدهما : ألاَّ نَعْبُدَ إلاَّ الله، والثَّاني : ألاَّ نَعْبُدَهُ إلاَّ بما شرع، لا نَعْبدَهُ بعبادةٍ مُبْتَدعَة، وهَذَان الأصْلان هُما تَحْقيقُ شهادة أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله وأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله»[٢].

وقال ابن أبي العز الحنفي - رحمهُ اللهُ - : «فهما

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٩/ ٢٠٥).

(٢) «الفتاوىٰ» (١/ ٣٣٣ - ٣٣٤).

توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلاَّ بهما: توحيدُ المُرْسِل، وتوحيدُ مُتَابَعَةِ الرَّسولِ - ﷺ - »(١).

وقَالَ الإمَامُ أبُو طَاهِرٍ السَّلَفيّ - رحِمَهُ اللهُ - :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الأَمْرَ لَيْسَ بِحَاصِلٍ
إلاَّ إذَا كَانَتْ لَهُ صِفَتَانِ
لاَبُدَّ مِنْ إخْلاصِهِ ونقائه
وَخُلُوِّهِ مِنْ سَائِرِ الأَدْرَانِ(٢)
وكَذَا مُتابَعَةُ الرَّسُولِ، فَحُكْمُهَا
نَصٌّ بِحُكْمِ نَبيِّنَا العَدْنَانِ

(١) «شرح الطحاوية» (١ / ٢٢٨).
(٢) الأدرانُ: جَمْعُ دَرَن، وهو الوَسَخُ.

٢ - التَّقْوَى

إِذَا أَرَدْتَ أن يُحبَّكَ الله فَعلَيْكَ بلزومِ التَّقْوَىٰ؛ فإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - يُحبُّ المُتَّقينَ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ - : ﴿ **بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦)** ﴾ [آل عمران : ٧٦].

وقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ - : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤)** ﴾ [التوبة : ٤].

وعَنْ سَعْدِ بْن أَبي وَقَّاصٍ - رضي الله عنه - قال: سَمعْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ**[1] **الْخَفِيَّ**[2]»[3].

---

(١) قوله - صلى الله عليه وسلم - : «إنَّ اللهَ يُحبُّ العَبْدَ التَّقي الغني الخفيّ» المراد بالغَنيّ: غني النَّفس، هَذا هو الغَنَىٰ المحبوب؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم - : «**ولكن الغنىٰ غنىٰ النَّفس**» قاله النَّوويّ، انظر شرح مسلم (١٨ / ٧٩).

(٢) الخفي - بالخاء المعجمة -: الخامل المنقطع إلىٰ العبادة والاشتغال بأمور نفسه.

(٣) رواه مسلم (٢٩٩٥).

والتَّقْوىٰ - أَخِي في اللهِ - هِيَ امْتِثَالُ أَمْرِ اللهِ؛ رَجَاءَ رَحْمَةِ اللهِ، واجْتِنَاب نَوَاهِيه؛ مَخَافَةَ عَذَابِه.

وَقَدْ وَرَدَ لَفْظُ التَّقْوَىٰ في القُرْآنِ الكَرِيمِ عَلَىٰ خَمْسَةِ أَوْجُهٍ:

١ - الْخَوْفُ والْخَشْيَةِ:

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ - : ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) ﴾ [الحج : ١].

أي: خَافوا ربَّكُمْ واخْشَوْهُ.

٢ - الْعِبَادَة:

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ - : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) ﴾ [النحل : ٢].

أي: فاعْبدون.

٣ - تَرْكُ المَعْصِيَةِ :

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ - : ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩) ﴾ [البقرة : ١٨٩] . أي : لا تَعْصُوهُ .

٤ - التَّوْحِيدُ :

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ - : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [الحجرات : ٣] . أي : لِلتَّوْحِيد .

٥ - الإِخْلاص :

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ - : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) ﴾ [الحج : ٣٢] . أي من إِخْلاصِها[١] .

وخلاصة القول : أنَّ التَّقْوَىٰ هي وِقَايةُ الإِنسان نَفْسَهُ مِنَ النَّارِ .

---

(١) انظر « كشف الأسرار » لابن العماد (٢٢٢) .

ومَا أجْمَلَ مَا قَالَهُ أبو هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – وقَدْ سَأَلَهُ سَائِلٌ: مَا التَّقْوَىٰ؟.

قَالَ: «هَلْ أَخَذْتَ طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟».

قال: نَعَمْ. قالَ: «فَكَيْفَ صَنَعْتَ؟».

قَالَ: إِذَا رَأَيْتُ الشَّوْكَ عَدَلْتُ عَنْهُ، أَوْ جَاوَزْتُهُ، أَوْ قَصَدْتُ عَنْهُ. قَالَ: «ذَاكَ التَّقْوَىٰ»(١).

ونَظَمَ هَذَا المَعْنَىٰ ابنُ المُعْتَزِ فقَالَ:

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا ... وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التُّقَىٰ

وَاصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْ ... ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَىٰ

لا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً ... إِنَّ الجِبَالَ مِنَ الحَصَىٰ

والتَّقْوَىٰ – أخي – هيَ وَصِيَّةُ اللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – للأَوَّلِينَ والآخِرِينَ.

قَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ – : ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

---

(١) «الدر المنثور» للسيوطي (١١ / ٧٠٣).

مِنْ صِفَاتِ المُتَّقِين :

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ - : ﴿ الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) ﴾ [البقرة : ١ - ٥] .

قَالَ العلاَّمَةُ عبد الرَّحْمَن السَّعديّ - رَحِمَهُ اللهُ - : « وَصَفَ المُتَّقِينَ بالعَقَائد ، والأَعْمَالِ البَاطِنَة ، والأَعْمَالِ الظَّاهِرَة ؛ لِتَضْمِينِ التَّقْوَىٰ لذلك »[١] .

وقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ - : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا

(١) « تفسير السَّعْدي » (٢٦) .

وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾ [البقرة: ١٧٧].

فَتِلْكَ بَعْضُ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ، وقَد اشْتَمَلَتْ علَىٰ كُلِّ خِصَالِ الخَيْرِ تَضَمّنًا ولزومًا.

أَخي، الْزَمِ التَّقْوَىٰ؛ فَإِنَّ التَّقْوَىٰ رَأسُ كُلِّ شَيْءٍ، والتَّقيُّ مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ؛ فَعَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدريّ - رضي الله عنه - أنَّ رَجُلاً جَاءَهُ، فَقَالَ: أَوْصِني. فَقَالَ: سَأَلْتَ عَمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنْ قَبْلِكَ فَقَالَ: «**أُوصِيكَ بِتَقْوَىٰ اللهِ؛ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالجِهَادِ؛ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الإِسْلامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ وتِلاوَةِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ رَوْحُكَ في السَّمَاءِ، وَذِكْرُكَ في الأَرْضِ**»(١).

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قال: قِيلَ لِلنَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم -: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «**أَكْرَمُهُمْ أَتْقَاهُمْ**»(٢).

---

(١) حسن، أخرجه أحمد (٣ / ٨٢)، والهيثمي في المجمع (٤ / ٢١٥) وحسنه الألبانيُّ في الصحيحة (٥٥٥).

(٢) رواه البخاري (٣٣٧٤).

وإِذَا بَحَثْتَ عَنِ التَّقِيِّ وَجَدْتَهُ
رَجُلاً يُصَدِّقُ قَوْلُهُ بِفِعَالِ

وَإِذَا اتَّقَىٰ اللهُ امْرؤ وَأَطَاعَهُ
فَيَدَاهُ بَيْنَ مَكَارِمٍ ومَقَالِ

وَعَلَىٰ التَّقِيِّ إِذَا تَرَاسَخَ في التُّقَىٰ
تَاجَان تَاجُ سَكِينَةٍ وَجَمَالِ

وَإِذَا تَنَاسَبَتِ الرِّجَالُ فَمَا أَرَىٰ
نَسَبًا يَكُونُ كَصَالِحِ الأَعْمَالِ

٣ - قِرَاءةُ القُرْآن

قراءة القُرْآن مِنْ أَعْظَمِ أسْبَابِ مَحَبَّة الله للْعَبْدِ؛ فإِنَّ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - أَحَبَّهُ اللهُ بتِلاوَةِ سُورةٍ وَاحِدَةٍ.

فَعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أَنَّ النَّبيَّ - ﷺ - بَعَثَ رَجُلاً عَلَىٰ سَرِيَّةٍ، وكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ في صَلاتِه فَيَخْتِمُ بـ ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ ، فلَمَّا رَجعوا ذكروا ذَلِكَ لِلنَّبيِّ - ﷺ - فَقَالَ: «**سَلُوهُ لأَيِّ شَيءٍ يَصْنَعُ ذَلكَ؟**».

فَسَأَلُوه، فَقَالَ: لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بها، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : «**أَخْبِرُوهُ أنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»[1].

فانْظُرْ - أَخي - كَيْفَ أَحَبَّ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - عَبْدَهُ لِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ ظَلَّ يُرَدِّدُهَا بحُبٍّ وشَغَفٍ، فَمَا أَحْرَاكَ أَنْ تَقْرَأَ القُرْآنَ بِتَعقُّلٍ وتَدَبُّرٍ وكَأَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَيْكَ؛ فَقَدْ كَانَ

---

(١) رواه البخاريّ (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).

السَّلَفُ يَسْتَشْعِرُونَ هَذَا المَعْنَىٰ، وهُمْ يَقْرَءُونَ القُرْآنَ، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا يَتلَقَوْنَهُ تَلَقِي الغَائِبِ الْغَرِيبِ لرِسَالَةٍ جَاءَتْ عَلَىٰ شَوْقٍ مِنَ الحَبِيبِ.

قَالَ الحَسَنُ: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوْا القُرْآنَ رسَائِلَ مِنْ رَبِّهِمْ، فَكَانُوا يَتَدَبَّرونها بِاللَّيْلِ، ويَتَفَقَّدُونَهَا بالنَّهَارِ»[١].

أخي، إِذَا أَرَدْتَ الانتِفَاعَ بالقُرآنِ، فَاجْمَعْ قلبك عِنْدَ تِلاوَتِهِ وسَمَاعِهِ، وأَلْقِ سَمْعَكَ وَاحْضِرْ حُضُورَ مَنْ يُخَاطِبه، مَنْ يَتَكَلَّمُ بِهِ مِنهُ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ خِطَابٌ مِنْهُ لَكَ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ - ﷺ - .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧][٢].

تَدَبَّرْ كِتَابَ اللهِ يَنْفَعْكَ وَعْظُهُ
فَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَبْلَغُ واعِظِ

---

(١) «التبيان في آداب حملة القُرْآن» (٢٨).
(٢) «الفوائد» لابن القيم (٢٣).

وبِالْعَيْنِ ثُمَّ الْقَلْبِ لاحِظْهُ وَاعْتَبِرْ

مَعَانِيهِ فَهُوَ الْهُدَىٰ لِلْمُلاحِظِ

ويُعْرَفُ أَهْلُهُ بإِحْيَاءِ لَيْلِهِم

وَصَوْمِ هَجِيرٍ لاهِجِ القَيْضِ قَائِظِ

وَغَضِّهِمُ الأَبْصَارَ عَنْ كُلِّ مَأْثَمٍ

يَجُرُّ بِتَكْرِيرِ العُيُونِ اللَّوَاحِظِ

٤ - التَّقَرُّبُ إلى اللهِ بالنَّوافِلِ

مَنْ قَامَ بالفَرَائِضِ كَامِلَةً كَانَ مُحِبًّا لله، ومَنْ قَامَ بالنَّوَافِلِ بَعْدَهَا فَهُوَ مَحْبُوبٌ مِنَ اللهِ؛ لحديث أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أنَّ النَّبيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «**إنَّ اللهَ - تعَالَىٰ - قالَ**[١]: **مَنْ عَادَىٰ لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ**[٢] **بالحَرْبِ، ومَا تَقَرَّبَ إليَّ عَبْدي بشَيْءٍ أَحَبَّ إليَّ ممَّا افْتَرَضْتُهُ**[٣] **عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ**[٤] **عَبْدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ؛ فإذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي**

---

(١) إنَّ الله تَعَالَىٰ قَالَ: «**مَنْ عَادَىٰ لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ**»: هذَا الحديث حديث قدسيّ؛ لأنَّ النَّبيَّ - صلى الله عليه وسلم - رَوَاهُ عَنْ رَبِّه، وكُلُّ حَديثٍ رَوَاهُ النَّبيُّ - صلى الله عليه وسلم - عَنْ رَبِّهِ يُسَمَّىٰ عِنْدَ العُلَمَاءِ حَديثًا قُدُسِيًّا.

(٢) آذَنْتُهُ: يعني أَعْلَمْتُهُ، أي: إني أَعْلَنْتُ عليه الحرْبَ.

(٣) «**ومَا تَقَرَّبَ إليَّ عَبْدي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إليَّ ممَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ**» أي: ما عبدني أحدٌ بِشَيْءٍ أحبّ إليَّ مما افترضته عليه.

(٤) «**وَمَا يَزَالُ عَبْدي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنَّوَافِلِ**» يعني: بعد قيامه بالفرائض، والفعل يزال: يدل علىٰ الاستمرار، أي يستمر.

يَسْمَعُ بِهِ(١)، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ بِهِ(٢)، ويَدَهُ التَّي يَبْطِشُ بِهَا(٣)، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشي بِهَا(٤)، وإِنْ سَأَلَني لأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنْ اسْتَعَاذَني لأُعِيذَنَّهُ، ومَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ، وأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(٥).

وَلَعَلَّ قَائِلاً يَقُولُ: لِمَاذا كَانَ للمُتَقَرِّبِ إِلَىٰ اللهِ بالنَّوَافِلِ مَيزَةٌ، وهي نَيْلُ مَحَبَّةِ اللهِ، ولَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِلْفَرائِضِ؟.

يُجِيبُ عَلَىٰ ذَلِكَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ - رَحِمَهُ اللهُ -: «جَرَتِ العَادَةُ أَنَّ التَّقَرُّبَ يَكُونُ غَالِبًا بِغَيْرِ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ

---

(١) «كُنْتُ سَمْعَهُ» أي: سددته في كُلِّ ما يسمع، فلا يسمع إلاَّ ما فيه الخير.

(٢) «وبصره الذي يُبْصِرُ به» أي: سددته فيما يرى، فلا يرىٰ إلاَّ ما فيه الخير.

(٣) «ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا» أي: سددته في بطشه وعمله بيده، فلا يعمل إلاَّ ما فيه خير.

(٤) «ورجله الَّتي يَمْشي بها» أي: سددته في مشيه، فلا يمشي إلاَّ إلىٰ الخير.

(٥) رواه البخاري (٦٥٠٢).

الْمُتَقَرِّبُ، كالهَدِيَّة، والتُّحْفَة، بِخِلافِ مَنْ يُؤَدِّي ما عَلَيْهِ مِنْ خَرَاجٍ أو يَقْضِي مَا عَلَيْهِ مِنْ دَيْنٍ»(١).

النَّوَافِلُ:

النَّوَافِلُ الْمُتَقَرَّبُ بها إِلَىٰ اللهِ الْمُوصِلَةُ إِلَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ هِيَ الزِّيَادَةُ عَلَىٰ أَنْوَاعِ الفَرَائِضِ؛ كالصَّلاَةِ، والزَّكَاةِ، والصِّيَامِ، والحَجِّ والعُمْرَة.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ - رَحِمَهُ اللهُ - عِنْدَ شَرْحِهِ للحَدِيثِ الْمُتَقَدِّم: «فإِنَّ مِنْ جُمْلَةِ مَا شُرِعَتْ لَهُ النَّوَافِلُ جَبْرُ الفَرَائِضِ، كَمَا صَحَّ في الحَدِيث: «**انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِن تَطَوُّعٍ، فَتُكْمَلُ بِهِ فَرِيضَتُهُ**» الحديث بمعناه(٢)؛ فَتَبَيَّنَ أَنَّ الْمُرَادَ بالتَّقَرُّبِ بالنَّوَافِلِ أَنْ تَقَعَ مِمَّنْ أَدَّىٰ الفَرَائِضَ لا مِمَّنْ أَخَلَّ بِهَا»(٣).

---

(١) «فتح الباري» (١١ / ٣٥١).
(٢) صحيح، وهو جزء من حديث أخرجه الترمذي (٤١٣) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٣٧).
(٣) فتح الباري (١١ / ٣٥١).

١ - نوافلُ الصَّلاةِ :

١ - السُّنَنُ الرواتب : هي عَشرُ ركَعاتٍ في الحَضرِ .

لحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - ، قالَ : « حَفَظْتُ مِنَ النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - عَشْرُ ركَعاتٍ ، رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ ، ورَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا ، ورَكْعَتَيْنِ بَعْدَ المَغرِبِ في بَيْتِه ، ورَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ في بَيْتِهِ ، ورَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاةِ الصُّبْحِ »(١) .

كان النَّبيُّ - صلى الله عليه وسلم - يُصلي أربعًا قبل الظُّهْرِ ، عن عائشةَ - رضي الله عنها - « أنَّ النَّبيَّ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ لا يَدَعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ »(٢) .

ومَتَىٰ جَعَلْتَ مكانَ الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ في حَديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ - الرَّكَعَاتِ الأَرْبَعِ المَذْكُورَةِ في حَديثِ عَائشَةَ - رضي الله عنها - فإنَّكَ تَكُونُ قَدْ صَلَّيْتَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً في يَوْمٍ ولَيْلَةٍ .

---

(١) رواه البخاري (١١٨٠)، ومسلم (٧٢٩) .
(٢) رواه البخاري (١١٨٢) .

فَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يقول: «**مَنْ صَلَّىٰ اثْنَتي عَشْرَةَ رَكْعَةً في يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ في الجَنَّةِ**»[(١)].

نَافِلَةُ الجُمُعَةِ:

يُسْتَحَبُّ للمُسْلِمِ أَنْ يُصَلِّي بَعْدَ الجُمْعَة رَكْعَتَيْنِ[(٢)] في بَيْتِهِ، وإِنْ شَاءَ صَلَّىٰ أرْبَعَ ركعاتٍ، فالأمْرُ في ذَلِكَ وَاسِعٌ والكلّ مَسْنون.

لحديثِ ابنْ عُمَرَ - رضي الله عنهما - أَنَّهُ وَصَفَ تَطَوّع رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - قال: «كَانَ لا يُصَلِّي بَعْدَ الجُمْعَةِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْن في بَيْتِه»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٧٢٨).

(٢) ليس للجمعة سُنَّة قَبْلِيَّة، باتِّفَاق العُلَمَاء، قال شَيْخُ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في «الفتاوىٰ» (٢٤ / ١٨٨): «جماهير الأئمَّة مُتفقون علىٰ أنَّه ليس قبل الجمعة سُنَّة مُؤقتة مقدّرة بعدد؛ ولأن ذلك لم يثبت بقول النَّبيّ - صلى الله عليه وسلم - أو فعله، وهو لم يسنّ في ذلك شيئًا لا بقوله، ولا بفعله، وهذا مذهب مالك، ومذهب الشافعي، وأكثر أصحابه، وهو المشهور من مذهب أحمد».

(٣) رواه مسلم (٨٨٢).

وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قال: قالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -:
«مَنْ كَانَ مِنكُمْ مُصَلِّيًا بَعْدَ الجُمُعَةِ فَلْيُصَلِّ أَرْبَعًا»(١)(٢).

٢ - نوافل التَّطوّع(٣):

١ - أربع ركعات قبل العصر:

لحديث ابن عمرَ - رضي الله عنهما - قال: قالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -:

---

(١) قال النَّوَويُّ - رحمهُ اللهُ - في شرْحه علىٰ مُسْلم (٦/ ١٦٩): «في هذه الأحاديث اسْتحباب سُنَّة الجمعة بعدها والحث عليها، وأنَّ أقلَّها ركعتان، وأكملها أربع، فنبَّه - صلى الله عليه وسلم - بقوله: «**إذا صلَّىٰ أحدكم بعدَ الجُمْعَة فليُصلِّ أربعًا**» علىٰ الحث عليها، فأتىٰ بصيغة الأمر، ونبَّه بقوله - صلى الله عليه وسلم -: «**مَنْ كَانَ منكم مُصلّيًا**» علَىٰ أنَّها سُنَّة، وليست واجبة، وذكر الأربع لفضيلتها، وفعل الركعتين في أوقات بيانًا لأنَّ أقلها ركعتان، ومعلوم أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يُصلي في أكثر الأوقات أربعًا؛ لأنَّهُ أمرنا بهن وحثنا عليهن».

(٢) رواه مسلم (٨٨١).

(٣) قَالَ ابنُ قُدامَةَ - كَمَا في مُخْتَصَرِ منْهَاجِ القَاصِدينَ (٣١) -: «النَّوافلُ ثلاثةُ أقْسام: سُنن، ومستحبات، وتطوعات. والمقصود بالسُّنَّة مَا نُقل عَنْ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المواظبة عليه. والمقصود بالمستحب: ما ورد الخبر بفضله، ولم يُنقل المواظبة عليه. والمقصود بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد به خبر، ولكن ورد الإذن به، والعبد يتطوّع بفعْله».

«رحِمَ اللهُ امرأً صَلَّىٰ قَبْلَ العَصْرِ أربعًا»(١).

٢ - ركْعتان قَبْلَ المَغْرِب:

لحديث عَبْد الله المزنيّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : «صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِب» وَقَالَ في الثَّالِثَةِ: «لِمَنْ شَاءَ، كَرَاهِيَةَ أنْ يَتَّخِذَهَا النَّاسُ سُنَّةً»(٢).

٣ - صلاةُ اللَّيْلِ:

لحديث أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رمضان شَهْرِ اللهِ المُحَرّم، وأَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ صَلاَةُ اللَّيْلِ»(٣).

٤ - صَلاَةُ الوِتْرِ:

وهيَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ لِحَدِيثِ ابن عُمَرَ - رضي الله عنهما - ، عَنِ

---

(١) حسن، أخرجه أحمد في المسند (٢٠٣/٤)، والتّرمذيّ (٤٣٠)، وأبو داود (١٢٧١)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في صحيح أبي داود (١١٣٢).

(٢) رواه البخاري (١١٨٣).

(٣) أخرجه مسلم (١١٦٣).

النَّبيِّ - ﷺ - قال: «اجْعَلُوا آخر صلاتِكُمْ باللَّيْلِ وتْرًا»[١].

صلاة الضُّحَىٰ:

لحديث أبي ذَرّ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قال: «**يُصْبِحُ علَىٰ كُلِّ سُلامَىٰ[٢] مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَة؛ فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٍ، وكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٍ، وكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَة، وكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صدقة، وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةٍ، ونَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٍ، ويُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يركَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ**»[٣].

٢ - نوافل الصيام والزكاة والحج والعمرة:

نَوَافِلُ الصِّيَامِ وكَذَلِكَ الزَّكَاة والحَج والعُمْرَة الحديث عنهُنَّ ذو شُجُونٍ[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩٨)، ومسلم (٧٥١).

(٢) سُلامَىٰ: مُفْرَد جَمْعه السلاميات، وهي مَفَاصِلُ الأَصَابعِ، ثُمَّ اسْتعمل في جَميعِ عظَامِ البَدَنِ ومفاصِلِه. انظر «شرح النَّوويِّ علَىٰ مُسْلِمٍ» (٥ / ٢٣٣).

(٣) رواه مسلم (٧٢٠).

(٤) أي: أنَّ المَقَامَ لا يتَّسِعُ لِذكْرِهِنَّ علَىٰ سَبيلِ التَّفْصيلِ مَخَافَةَ السَّآمَة.

ونَوَافِلُ الصِّيَامِ هي: صيَامُ الاثنين والخميس، وصيَامُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وصِيَامُ سِتَّةٍ مِنْ شَوَّالٍ، وصيامُ تسع ذي الحِجَّةِ، وصيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وصِيَامُ شَهْرِ مُحرّم، وصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وصِيَامُ يَوْمٍ وفِطْرُ يَوم، والتَّنَفُّلُ المُطْلَق(١).

ونَوَافِلُ الصَّدَقَة هي: صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ الَّتي لَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ، وإنَّما يتطوَّعُ بِهَا المُسْلِمُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ.

ونَوَافِلُ الحَجِّ والعُمْرَةِ هي: المُتابعة بَيْنَ الحَجِّ والعُمْرةِ، ويَكُونُ ذَلكَ بَعْدَ أَدَاءِ الفَرِيضَةِ.

---

(١) التَّنَفُّل المُطْلَق: هو صِيَامُ أيِّ يَوْمٍ مِنَ السنة؛ لِمَا في صحيح البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣) مِنْ حَديث أبي سَعيد الخُدري - رضي الله عنه - قالَ: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «**ما مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يومًا في سبيل الله، إلاَّ باعدَ اللهُ بذلك اليَوْمِ وجهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خريفًا**». والخريف: السَّنَة، والمراد مسيرة سبعين سنة.

٥ - الزُّهْدُ في الدُّنْيا

الزُّهْدُ في الدُّنْيا سَبَبٌ لِنَيْلِ مَحَبَّةِ اللهِ، والقرب مِنْهُ، ومِمَّا يَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ حَدِيثُ سَهْلِ بْنِ سَعْد السَّاعِديِّ -رضي الله عنه- قال: أَتَىٰ النَّبيَّ - صلى الله عليه وسلم - رَجُلٌ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّني عَلَىٰ عَمَلٍ، إِذا أَنَا عَمِلْتُهُ، أَحبَّني اللهُ، وَأَحَبَّني النَّاسُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: «**ازْهَدْ في الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وازْهَدْ فِيمَا في أَيْدي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ**» (١).

حقيقةُ الزُّهْدِ:

حَقِيقَةُ الزُّهْد: هُوَ النَّظَرُ إِلَىٰ الدُّنيا بِعَيْنِ الزَّوالِ لِتَصْغُرَ في عَيْنَيْكَ فَيَتَسَهَّلُ عَلَيْكَ الإِعْرَاضُ عَنْهَا (٢).

أَنْتَ في دَارِ شَتَاتٍ فَتَأَهَّب لِشَتَاتِكَ

(١) صحيح، أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، وصحّحه الألبانيّ في صحيح ابن ماجه (٣٣١٠).

(٢) «بصائر ذوي التمييز» (٣/١٣٩).

واجْعَلِ الدُّنْيَا كَيَوْمٍ صُمْتَهُ عَنْ شَهَوَاتِكَ
وَاجْعَلَنَّ فِطْرَكَ عِنْدَ اللهِ فِي يَوْمِ وفَاتِكَ

أقْسامُ الزُّهْدِ :

الزُّهْدُ أَقْسَامٌ:

١ - **زُهْدٌ في الْحَرَامِ:** وَهُوَ فَرْضُ عَيْنٍ.

٢ - **وَزُهْدٌ في الشُّبُهَاتِ:** وَهُوَ بِحَسَبِ مَرَاتِبِ الشُّبْهَةِ، فإِنْ قَوِيَتِ الْتَحَقَ بالْوَاجِبِ، وإِنْ ضعفتْ كَانَ مُسْتَحبًا.

٣ - **وَزُهْدٌ في الْفُضُولِ:** وهُوَ زُهْدٌ فيما لا يعني مِنَ الكَلامِ والنَّظَرِ، والسُّؤالِ واللِّقَاء وغيره، وزُهْدٌ في النَّاسِ، وزُهْدٌ في النَّفْسِ، حيْثُ تَهُونُ عليه نَفْسُهُ في اللهِ.

٤ - **وَزُهْدٌ جامعٌ لذلك كُلِّه:** وهُوَ الزُّهْدُ فيما سِوَىٰ ما عِنْدَ اللهِ، وفي كُلِّ مَا يَشْغَلك عَنِ اللهِ، وأَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ، وأَصْعَبُهُ الزُّهْدُ في الحُظُوظِ»(١).

---

(١) «الفوائد» لابن القيم (١١٨).

وَمَا هِيَ إِلاَّ جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ
عَلَيْهَا كِلابٌ هَمُّهُنَّ اجْتِذَابُهَا
فَإِنْ تَجْتَنِبْهَا كُنْتَ سِلْمًا لأَهْلِهَا
وَإِنْ تَجْتَذِبْهَا نَازَعَتْكَ كِلابُهَا[١]

---

(١) «دليل الفالحين» (٢ / ٤١١).

٦ - التَّوَكُّلُ على الله

مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ، ويُحِبُّ أَهْلَهَا التَّوَكُّلُ عَلَيْهِ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ-: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والتَّوكُّلُ هو اعتمادُ القَلْبُ علَىٰ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، وَتَفْويضُ الأَمْرِ إِلَيْهِ - سُبْحَانه - والاستعانَةُ بِهِ مَعَ الأَخْذِ بالأَسْبَابِ المَأْمُورُ بها، واعتقَادُ أَنَّها لا تَجْلبُ بذَاتِها نَفْعًا، ولا تَدْفَعُ ضراً، بَلِ السَّبَبُ والمُسَبَّبُ فعلُ اللهِ، والكُلُّ بمشيئَته - سُبْحَانَهُ -، فَمَا شَاءَ كَانَ، ومَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، مَعَ التَّسْلِيمِ لقَدَرِ اللهِ والرِّضَىٰ بِمَا يَكُونُ والصَّبْرُ عليه.

أَتَاكَ حَدِيثٌ لا يُمَلُّ سَمَاعُهُ
شَهِيٌّ إِلَيْنَا نَثْره ونظَامُهُ

إِذَا ذَكَـــرَتْهُ النَّفْسُ زَالَ عَنَاؤُها
وزَالَ عَنِ القَلْبِ المعنَىٰ ظَلامُــهُ

حقيقةُ التَّوَكُّلِ :

حَقِيقَةُ التَّوَكُّل عندَ أَهْلِ السُّنَّةِ قِيَامُ الجَوَارِحِ بالأسْبابِ واعتِمَادُ القَلْبِ عَلَىٰ مُسَبِّبِ الأسْبَابِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ- عَنْ مَرْيَمَ -عَلَيْهَا السَّلام- :
﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥)** ﴾

[مريم: ٢٥].

« وهَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَأْمُرُ باتِّخَاذ الأَسْبَاب، كَمَا دَلَّ عَلَىٰ ذَلكَ قَوْلُهُ: ﴿ **وَهُزِّي** ﴾ فأَمَرَ اللهُ بِذَلكَ مَعَ إِمْكَانِ تَقْدِيمِ ذَلِكَ الرّطب في صَحَائِفَ مِنْ ذَهَبٍ »[1].

تَوَكَّلْ عَلَىٰ الرَّحْمَنِ في كُلِّ حاجَةٍ
وَلا تُؤْثِرَنَّ العَجْزَ يَوْمًا عَلَىٰ الطَّلَب

---

(١) انظر « تفسير ابن كثير » (٣/ ١١٧).

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللَّهَ قَــــالَ لِمَـرْيَـم
إِلَيْكِ فَهُزِّي الجِذْعَ يَسَّاقطُ الرطَب
وَلَوْ شَاءَ أَنْ تَجْنِيهِ مِنْ غَيـرِ هَزِها
جَنَتْـهُ وَلَكِنْ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ سَـبب

أقْسامُ التَّوَكُّلِ:

١ - تَوكُلٌ عَلَى اللّه:

وهو الاعتمادُ عليهِ، والثِّقةُ بهِ، والإيمانُ بأنَّهُ مُقدِّرُ الأشْيَاءِ، ومُدبِّرُ الأُمُورِ كُلِّها مَعَ الأَخْذِ بالأَسْبَابِ.

٢ - تَوَكُّلٌ عَلَى غَيْرِ اللّهِ:

وهُوَ يُنَافي التَّوكُّلَ عَلَىٰ اللهِ، ويُضَادّ التَّوحيد؛ لأنَّهُ لَمَا كَانَ لا كَافيَ إلاَّ اللهَ، ولا قَادرَ عَلَىٰ شَيْءٍ سِوَاهُ، ولا عَالِمَ بِكُلِّ شَيْءٍ غَيْرُهُ كَانَ التَّوكُّلُ عَلَىٰ غيرِهِ شِرْكًا.

وهَذَا القِسمُ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ قسمَيْنِ:

١ - التَّوكُّلُ علَىٰ المَخْلُوقينَ في الأُمُورِ الَّتي لا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إلاَّ اللهُ، كالتَّوكُّلِ علَىٰ الأَمْوَاتِ والغائبينَ ونحوهما، فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرٌ.

٢ - التَّوَكُّلُ في الأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ العَادية علَىٰ الأَحْيَاء الحاضِرينَ كَمَنْ يَتوكَّلُ عَلَىٰ أَميرٍ أَوْ سُلْطَانٍ فيما جَعَلَهُ اللهُ بيدِهِ مِنَ الرِّزْقِ، أو دَفْعِ الأَذَىٰ، ونحو ذلك، فهذا شِرْكٌ خَفِيٌّ[١]؛ لأَنَّ سُؤَالَ المَخْلوقِ للمخْلوقِ فيها ثلاث مفاسد:

١ - الافتقارُ إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ، وهو نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ.

٢ - إيذاءُ المسْؤولِ وهُوَ ظُلْمٌ لِلْخَلْقِ.

٣ - الذِّلَّةُ لِغَيْرِ اللهِ، وهو ظُلْمٌ لِلنَّفْسِ.

يَجُولُ الْغِنَىٰ والعِزُّ في كُلِّ مَوْطِنٍ
لِيَسْتَوْطِنا قلب امرِئٍ إِنْ تَوكَّلا
وَمَنْ يَتوكَّل كَانَ مَوْلاهُ حَسْبُهُ
وَكَانَ له فيما يُحاولُ مَعْقِلا
إذا رَضِيَتْ نَفْسِي بِمَقْدُورِ حَظِّهَا
تَعَالَتْ وكَانَتْ عِنْدي أَعْظَمُ منزلا

---

(١) انظرْ «تيسير العزيز الحميد» (٤٠).

٧- التَّوْبَة

أَخِي، الْزَمِ الْتَّوْبَةَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ يُحِبَّكَ اللهُ؛ فإِنَّ التَّائبَ حَبِيبُ اللهِ – واللهُ – سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ – أَخْبَرَ في كتابِهِ الكَرِيم بِمَحَبَّتِهِ للتَّائبينَ.

قَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وتعالَىٰ – : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

لَمْ يَنْجُ مِنَ الذُّنُوبِ أَحَدٌ:

اعْلَمْ – أَخِي – أَنَّهُ لَمْ يَنْجُ مِنَ الذُّنُوبِ أَحَدٌ، حَتَّىٰ أَهْلِ الصَّلاحِ، وَلَوْ يُؤاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِذُنُوبِهِم مَا تَرَكَ عَلَىٰ الأَرْضِ أَحَدًا، قَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وتعالَىٰ – : ﴿ ولَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ [النَّحْل: ٦١].

فالإِنْسَانُ جُبِلَ عَلَىٰ الخَطَأ، وقُدِّرَتْ عَلَيْهِ الذنوب لحكمَةٍ؛ فَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ

- ﷺ - : «والَّذي نَفسي بيده لو لَم تُذنبوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُم ولَجَاء بقومٍ يُذنبون فيستغفرون اللهَ فيَغفر لَهُم»(١).

قَضَىٰ اللهُ في بَعْضِ المَكَارِه للفَتَىٰ
برُشْدٍ، وفي بَعْضِ الهَوَىٰ ما يُحَاذِرُ

فرح الله بتوبة عبده:

قَدَّرَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - الذُّنوبَ عَلَىٰ عِبَادِه؛ ليَجْعَلَهُمْ مُنْطَرِحينَ بَيْنَ يَدَيْه لائذينَ بجَنَابه؛ فإذَا تَابوا تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وكَانَ أَشَدّ فرحًا بِتَوبَتِهِمْ إذَا تَابُوا.

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «اللهُ أشَدُّ فَرَحًا بِتَوبَةِ عَبْدِه المُؤمن من رَجُلٍ في أَرْضٍ دَوِيَّةٍ مهلكةٍ، معه راحلتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيقَظَ، وقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّىٰ أدرَكَهُ العَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إلَىٰ مَكَاني الَّذي كُنْتُ فيه، فَأَنَامُ حَتَّىٰ أَموتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَىٰ سَاعِدِه لِيَمُوتَ، فَاسْتَيقَظَ

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٩).

وعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وعلَيْها زَادُهُ، وطَعَامُهُ وشَرَابُهُ، فللهُ أَشَدُّ فرَحًا بتَوْبَةِ العَبْدِ مِنْ هذَا برَاحلَتِه وزَادِه»[١].

أَمَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَه وتعَالَىٰ - نبيَّهُ - ﷺ - بالاسْتِغْفَارِ:

أَخِي، لَقَدْ أَمَرَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - نَبيَّهُ بالاسْتِغْفَارِ، وقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ومَا تَأَخَّرَ، فَكَيْفَ بنا نَحْنُ، قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾ [محمد: ١٩].

كيف كان استغفار رسول الله - ﷺ - ؟

عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قَالَ: إِنَّا كُنَّا لنعُدُّ لرسُولِ اللهِ - ﷺ - في المَجْلِسِ الوَاحِدِ مائة مَرَّةٍ منْ قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: «**رَبِّ اغْفِرْ لي وَتُبْ عليَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمِ**»[٢].

دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ كَانَ في زمَنِ الصِّبَا

واذْكُر ذنُوبكَ وَابْكِهَا يَا مُذْنِبُ

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤)، واللفظ له.

(٢) صحيح، أخرجه أبو داود (١٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٤٢).

وَاذْكُرْ مُنَاقَشَةَ الحِسَابِ فَإِنَّهُ
لابُدَّ يُحْصَىٰ مَا جَنَيْتَ ويُكْتَبُ
لَمْ يَنْسَهُ المَلَكَانِ حِينَ نَسِيتَهُ
بَلْ أثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لاهٍ تَلْعَبُ
والرُّوحُ فِيكَ وَدِيعَةٌ أُودِعْتَهَا
سَتَرُدُّها بالرَّغْمِ مِنْكَ وتُسْلَبُ

أخي، تُبْ إِلَىٰ اللهِ تَوْبَةً نصُوحًا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ بِشُرُوطِهَا؛ فإِنَّ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ نَدَمٌ بالقَلْبِ واسْتِغْفَارٌ باللِّسَانِ، وتَرْكٌ بالجَوَارِحِ، وعَقْدُ النِّيَّةِ عَلَىٰ عَدَمِ العَوْدَةِ.

وشروط التوبة:

١ - أنْ يُقْلِعَ عَنِ المَعْصِيَةِ.

٢ - أَنْ يَنْدَمَ عَلَىٰ فِعْلِهَا.

٣ - أنْ يَعزِمَ عَلَىٰ أنْ لا يَعُودَ إِلَيْهَا أَبَداً.

٤ - التَّحَلُّل مِنَ المَظَالِمِ، هذا الشَّرْطُ إِذَا كَانَ يَتَعَلَّقُ بِحَقِّ آدَمِيّ فلابُدَّ مَعَ التَّوْبَةِ مِنْ رَدِّ كُلِّ مَظْلَمَةٍ إِلَىٰ أَهْلِهَا، وَرَدّ

كُلِّ حَقٍّ إِلَىٰ مُسْتَحِقِّهِ، فَإِنْ كَانَ مَالاً رَدَّهُ إِلَيْهِ إِنْ كَانَ يَعْرِفُهُ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ تَصَدَّقَ بِهِ عَنْهُ، وإِنْ كَانَ حَدُّ قَذْفٍ مَكَّنَهُ مِنْهُ، أَوْ طَلَبَ مِنْهُ عَفْوَه، وإِنْ كَانَ غِيبَةً اسْتَحَلَّهُ مِنْهَا مَا لَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَىٰ ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ.

هَـذَا الـدَّلِـيـلُ لِمَـنْ أَرَا ... دَ غِنَىٰ يَدُومُ بِغَيْرِ مَالِ
وَأَرَادَ عِـزًّا لَـمْ تَـوصـ ... ـصَدْهُ العَشَائِرُ بِالْقِتَالِ
وَمَهَابَةً مِنْ غَيْرِ سُلْـ ... ـطَانٍ وَجَاهًا فِي الرِّجَالِ
فَلْيَعْتَصِمْ بِدُخُولِهِ فِي عِزِّ ... طَاعَةِ ذِي الجَلالِ
وَخُرُوجِهِ مِنْ ذِلَّةِ الـ ... ـعَاصِي لَهُ فِي كُلِّ حَالِ

٨ - الطَّهارة

أخي، احْرِصْ عَلَىٰ الطَّهَارَةِ؛ تَنَلْ مَحَبَّة الله ورِضَاهُ؛ فَإِنَّ اللهَ يُحبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٨].

أقسام الطَّهارة:

١ - طَهَارَة الظَّاهِرِ:

الَّذي يَظْهَرُ لي بَعْدَ بَحْثٍ في تَفْسيرِ الآيتيْنِ السَّابقَتَيْنِ أنَّ الْمُرَادَ طَهَارَةُ الظَّاهِرِ فَقَوْلُهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ جَاءَتْ في سيَاق تَحْرِيمِ إِتْيَانِ الحَائضِ، وأَوَّلُ الآيَة: ﴿ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ – رحمَهُ اللَّهُ – : «وقَالَ أَبُو رُزَيْن وَعكْرِمَة والضَّحَّاك وغيرُ وَاحدٍ ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ : يعْنِي طَاهِرَاتٍ غيرَ حُيَّض؛ ولهَذَا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ أي من الذَّنْب، وإِنْ تَكَرَّرَ غشيَانه. ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ أي المُتَنَزِّهين عَنِ الأَقْذَارِ والأَذَىٰ، وهو مَا نَهَىٰ عَنْهُ مِنْ إِتْيَانِ الحَائِضِ أَوْ في غَيْرِ المأْتي»(١).

وأمَّا الآية الثَّانية وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

فَقَدْ صَحَّ سبب نزولها مرفوعًا أنَّهَا نَزَلَتْ في طَهَارَةِ الظَّاهِرِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – عَنِ النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «نَزَلَتْ هَذه الآية في أَهْلِ قِبَاء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)﴾ . قال: كانوا يَسْتَنجونَ بالمَاءِ؛ فَنَزَلَتْ فيهم هذه الآية»(٢).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٦٢).

(٢) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٤) واللفظ له، والتِّرْمذيّ (٣١٠٠)، وابن ماجه (٣٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٤٧٦).

٢ - طَهَارَةُ البَاطِنِ:

لفظ الآيات السَّابقَة تدلُّ بعمومها علَىٰ طَهَارَة البَاطنِ، وكذلك قَوْلُهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ ﴾ [المُدَّثِّرْ: ٤]، فَإِنَّ جَمْهُورَ المُفَسِّرِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ علَىٰ أنَّ المرادَ بالثِّيَابِ هُنَا: القَلْب»(١).

وطَهَارَةُ الباطنِ في القُرْآن الكريمِ عَلَىٰ أَوْجُه:

١ - الطَّهارة مِنَ الذُّنُوبِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣].

٢ - الطَّهارة مِنَ الأَوْثَانِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٥].

٣ - الطَّهارة في الحلال، كقوله تعالىٰ: ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ [هود: ٧٨].

٤ - طهارة القلب من الريبة كقوله تعالىٰ: ﴿ ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. أَيْ أَطْهر لقَلْبِ الرَّجُلِ

---

(١) انظر «رسالة أمراض القلوب» لابن القيم (٥٢).

والمَرْأَةَ مِنَ الرِّيْبَةِ. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] أيْ مِنَ الرِّيْبَةِ والدَّنَسِ.

٥ - الطَّهَارةُ مِنَ الفَاحِشَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾ [آل عمران: ٤٢][1].

---

(١) انظر «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر» (٤١٩، ٤٢٢).

٩ - الإحْسان

أخي، لكي تنالَ مَحبَّةَ اللهِ؛ عَليْكَ بخُلُقِ الإحْسَان؛ فإنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ - يُحبُّ المُحْسنينَ، قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) ﴾ [البقرة: ١٩٥].

تَعْرِيفُ الإحْسانِ:

يَخْتَلفُ مَعْنَىٰ الإحْسَان بَاخْتلاف السِّيَاق؛ فإذَا اقْتُرِنَ بالإِيمَانِ والإسْلامِ، كَانَ المُرادُ بِهِ المُراقَبَة وحُسْنَ الطَّاعَة.

أمَّا إذَا ورَدَ «الإِحْسَانُ» مُطْلَقًا؛ فإنَّ المُرَادَ بهِ فِعْلُ كُلِّ ما هُوَ حَسَنٌ.

دَرَجَاتُ الإحْسانِ:

الإحْسَانُ دَرَجَات، أَعْلاهُ مَا كَانَ في جَانِب اللهِ - تَعَالَىٰ- مِمَّا فَسَّرَهُ النَّبيُّ - ﷺ - بقَولِه: **«الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ، فَإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فإنَّهُ يَرَاكَ»**[1].

---

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

ودونَهُ التَّقَرُّبُ إِلَىٰ اللهِ بالنَّوَافِلِ.

وتَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ مراتبُ أُخْرَىٰ للإِحْسَانِ سَوَاءً أكَانَتْ فِي القَصْدِ والنِّيَّةِ، أمْ فِي الفِعْلِ، والإِحْسَانُ فِي النِّيَّةِ يُعَدُّ أَمْرًا مُهِمًّا؛ إِذْ لابُدَّ أَنْ تُنَقَّىٰ تَنْقِيَةً سَلِيمَةً وَافِرَةً، أمَّا الإِحْسَانُ فِي الفِعْلِ أيْ فِي الْمُعَامَلَةِ مَعَ الخَلْقِ، فيكونُ فيما زَادَ عَلَىٰ الوَاجِبِ شَرْعًا، ويَدْخُلُ فيه جَمِيعُ الأَقْوَالِ والأَفْعَالِ، ومَعَ سَائِرِ أَصْنَافِ الخَلائقِ إلاَّ ما حُرِّمَ الإِحْسَانُ إِلَيْهِم بِحُكْمِ الشَّرْعِ.

ومِنْ أَدْنَىٰ مَرَاتِبِ الإِحْسَانِ، مَا وَرَدَ في الصَّحِيحَيْنِ(١) **«أَنَّ امْرَأَةً بَغِيَّةً رَأَتْ كَلْبًا يَلْهَثُ مِنَ العَطَشِ، يَأْكُلُ الثَّرَىٰ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا وَأَدْلَتْهُ فِي بِئْرٍ وَنَزَعَتْ فَسَقَتْهُ؛ فَغَفَرَ اللهُ لَهَا»**.

وفي الصَّحِيحِ(٢): **«إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ»**.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).

(٢) رواه مسلم (١٩٥٥) عن شداد بن أوس - رضي الله عنه -.

فَإِلَىٰ حَقِيقَةِ الإِحْسَانِ تَرْجِعُ أُصُولُ وفُرُوعُ وآدابُ الْمُعَاشَرَةِ كُلُّهَا في الْمُعَامَلَةِ والصُّحْبَةِ، والْعَفْو عن الحقوقِ والوَاجِبَاتِ مِنَ الإِحسَانِ؛ لِقَوْلِ الله - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾ [آل عمران: ١٣٤] [1].

---

(١) «التحرير والتنوير» (١٤/ ٢٥٥، ٢٥٦).

١٠ - الجِهَادُ

لَفْظُ الجِهَادِ إِذَا أُطْلِقَ، فَالْمُرَادُ بِهِ قِتَالُ الكُفَّارِ؛ لِإِعْلاءِ كَلِمَةِ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -، وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِمَّنْ يُحِبُّهُمُ اللهُ، كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٤].

وَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ - : «فَهَذِهِ ثَلاثَةُ أُصُولٍ لِأَهْلِ مَحَبَّةِ اللهِ: إِخْلاصُ دِينِهِمْ، وَمُتَابَعَةُ رَسُولِهِ، وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ»(١).

---

(١) «الاستقامة» (٢٦٢).

قَالَ: «وَهَؤُلاء هُمُ الَّذِينَ يَحْتَمِلُونَ الملامَ والعذل في حُبِّ اللهِ وَرَسُولِهِ والجِهَادِ في سَبِيلِهِ، واللهُ يُحِبُّهُمْ وهُمْ يُحِبُّونَهُ»(١).

تَعْرِيفُ الجِهَادِ:

الجِهَادُ كمَا عَرَّفَهُ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ -: «والجِهَادُ هُوَ بَذْلُ الوُسْعِ - وهو القُدْرَةَ - في حُصُولِ مَحبوبِ الحقّ، ودَفْعُ ما يكْرَه الحقّ»(٢).

وقَالَ: «حقيقَته الاجْتِهَادُ في حُصُولِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ منَ الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ، ومِنْ رَفْعِ مَا يُبْغِضُهُ اللهُ مِنَ الكُفْرِ والفُسُوقِ والعِصْيَانِ»(٣).

أَهْدَافُ الجِهَادِ:

١ - رَدُّ العُدْوَانِ عَنِ النَّفْسِ والأَهْلِ والمَالِ والدِّينِ والدِّيَارِ، قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَى -: ﴿**وقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ**

---

(١) المرجع السابق (٢٦٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ١٩١).

(٣) المرجع السابق (١٠ / ١٩٢).

اللَّه الَّذين يُقَاتِلُونَكُمْ ولا تعتدُوا إنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ الْمُعْتَدينَ (١٩٠) ﴾
[البقرة: ١٩٠].

وقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - : ﴿ أُذنَ للَّذين يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) ﴾ [الحج: ٣٩].

٢ - تأمين حُرِيَّة الدين والعَقيدَة للمُؤْمنين وإِعْلاء كَلمَة اللَّه، وذَلِكَ بقِتَالِ الكُفَّارِ الَّذينَ يَفْتنونَ المُسْلمينَ، ويَمْنَعونَهم مِنْ إِقَامَة شَعَائِرِهِم.

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وتعَالَىٰ - : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وَعَنْ أَبي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيّ - رضي الله عنه - قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - : «مَنْ قَاتَلَ لتكونَ كَلِمَةُ اللهِ هيَ العُلْيَا، فَهُوَ في سَبيلِ اللهِ».

٣ - حِمَايَةُ الدَّعْوَة حَتَّىٰ تَبْلُغَ النَّاسَ جَميعًا؛ فاللهُ -

سبحانهُ وتعالَىٰ - أرْسَلَ رسُولَهُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً يُبَشِّرُهُمْ بثَوَابِ اللهِ، ويُنْذِرُهُمْ عقَابَهُ؛ فإنّ وقَفَ في طَرِيقِ الدَّعْوَةِ أحَدٌ، وكَانَ عنْدَ المُسْلمينَ قُدْرَةٌ تَعَيَّنَ القتَالُ لحمَايَةِ الدَّعْوَة.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - : ﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بشيراً ونَذيراً ﴾ [سبأ : ٢٨].

وَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - : ﴿ هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣) ﴾ [التوبة : ٣٣].

٤ - تأديب ناكثي العهد منَ المُعَاهَدينَ أَو الفئَة البَاغيَة عَلَىٰ جَمَاعَة المُؤمنينَ، قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ -: ﴿ وإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢) أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣) ﴾

[التوبة : ١٢، ١٣].

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩) ﴾

[الحجرات : ٩] .

٥ - إغاثة المظلومين من المؤمنين: قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير (٧٢) ﴾

[الأنفال : ٧٢] .

خلاصة القول في أهداف الجهاد:

« وصفوة المقال تلك هي الحرب في الإسلام، لا يخوضها المسلمون إلا حين لا يكون لهم بد من خوضها، إما ردًّا لعدوان، أو دفاعًا عن دين، أو عرض، أودم، أو حماية

للدَّعْوَةِ، أو تَأْدِيبًا لِنَاكِثٍ أو بَاغٍ، أو إِغَاثَة مُسْلِمٍ مَظْلُومٍ؛ فَالمُسْلِمُ لا يُقَاتِلُ إِلاَّ مُكْرَهًا عَلَىٰ القِتَال، أَيْ: حِينَمَا لا تَبْقَىٰ أَمَامَهُ وَسِيلَةٌ لِدَفْعِ الظُّلْمِ غَيْرُ القِتَالِ؛ وذَلِكَ بَعْدَ اسْتِنْفَادِ جَمِيعِ الوسَائِلِ المُسالِمَة؛ يعْرِضُ الإِسْلامَ، وهو السَّلامُ بعَيْنِه، فَإِنْ أبوا فالجِزْيَة، وهي سلام، فإِنْ أَبوا فَلَيْسَ لَنَا خِيَارٌ إِلاَّ القِتَالَ، فَلَيْسَ القِتَالُ غَايَةً أسَاسِيَّةً، وإِنَّمَا هُوَ عِلاجٌ، وآخرُ العِلاجِ الكَيِّ؛ فالغَايَةُ مِنَ الجِهَادِ أَنْ يَنْتَشِرَ الإِسْلامُ، ويَقُومُ العَدْلُ ويَنْعَمُ النَّاسُ بظِلِّه»(١).

أَنْوَاعُ الجِهَاد:

١- فَرْضُ عَيْنٍ:

يَكُونُ الجِهادُ فَرْضُ عَيْنٍ في ثَلاثَةِ أَحْوَالٍ:

الحَالَةِ الأُولَىٰ - إِذَا دَاهَمَ البَلَدَ العَدُوُّ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ أنْ يُقَاوِمُوهُمْ.

(١) انظر «الإِعْدادُ المعنويّ للقتال في الإِسلام» للعميد / فيصل بالي (٢٨، ٣١) بتصرُّف واخْتِصار.

الحَالَةِ الثَّانيَة - إِذَا حَضَرَ المَعْرَكَةَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ والكُفَّارَ؛ فإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيهِ أَنْ يُقَاتِلَ ولا يَنْهَزِمَ.

الحَالَةَ الثَّالثَة - إِذَا اسْتَنْفَرَهُ إِمَامُ المُسْلمِينَ؛ لأنَّ الجِهَادَ مِنْ صَلاحِيَّاتِ الإِمَام[1] فإِذَا اسْتَنْفَرَهُ، فإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْه الطَّاعَة والإِجَابَة، قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ -: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ**﴾

[التوبة: ٣٨].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

---

(١) الجِهَادُ لابُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ إِمَامِ المُسْلمِينَ براً كَانَ أو فَاجِراً، وقَدْ ظَهَرَتْ في زَمَانِنَا هذا جَمَاعَاتٌ تَقْتُلُ الأَبرِيَاءَ وَتَسْفكُ الدِّمَاءَ، وتُخرِّب الدِّيار، وتتمرّدُ علَىٰ وُلاة الأمور، ويُسمّون أنفسهم مجاهدين في سبيل الله؛ فيجب الحَذَر والتحذير منهم؛ فَقَدْ تَوَالَتْ تَحذيرات العلماء من هذه الفئة الخارجة علَىٰ الولاة في كل عصر ومصر؛ حماية للشريعة منْ أنْ يَلْصق بها ما ليس منها، ولمعرفة حقيقة هذه الفئة ننصح بسماع شريط «فتاوىٰ العلماء في الاغتيالات والتفجيرات والعَمليَّات الانتحارية» وهو مُتوفّر في تسجيلات منهاج السُّنَّة - الرياض، وكثير من التسجيلات في اليمن.

«لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، ولَكِنْ جِهَادٌ ونِيَّة، وإذَا اسْتُنْفِرْتُم فَانْفِرُوا»(١).

٢ - فَرْضُ كِفَايَة:

ويكون الجِهَادُ فَرْضُ كِفَايَةٍ إذَا قَامَ بِهِ مَا يَكْفي سَقَطَ الإِثْمُ عَنِ الباقينَ.

شُرُوطُ الجِهَادِ:

لابُدَّ لِلْجِهَادِ مِنْ ثَلاثَةِ شُرُوطٍ:

١ - القُدْرَة.

٢ - أنْ يَكُونَ تَحْتَ رَايةٍ مُسْلِمَة.

٣ - أَنْ يَكُونَ تَحْتَ إمَارَةِ إمَامِ المُسْلِمينَ أَوْ مَن يوكِّلُهُ الإمَامُ كَقَائِدِ الجَيْشِ.

(١) رواه البخاري (١٣٤٩) واللفظ له، ومسلم (١٣٥٣).

١١ - العَدْلُ

أَخِي، إِذا أَرَدْتَ أَنْ يُحِبَّكَ اللهُ فَعَلَيْكَ بِلزُومِ العَدْلِ في أَقْوَالِكَ وَأَفْعَالِكَ في حَيَاتِكَ كُلِّهَا، وَمَعَ النَّاسِ كَافَّةً؛ فإِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - يُحِبُّ المُقْسِطِينَ.

قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢)﴾ [المائدة: ٤٢].

تَعْرِيفُ الإِقْسَاطِ:

لا خِلافَ أنَّ الإِقْسَاطَ هُوَ العَدْلُ. قَالَ القُرْطُبِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - : «القِسْطُ هُوَ العَدْلُ في المُعَامَلاتِ»(١).

مِنْ مَجَالاتِ العَدْلِ:

١- العَدْلُ في الحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ:

وهو فَصْلُ الخُصُومَاتِ عَلَىٰ مَا في كِتَابِ اللهِ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - وسُنَّةِ رَسُولِهِ - ﷺ - لا بالرأي المُجَرَّدِ(٢)، ومتَىٰ

(١) «تفسير القُرْطُبيّ» (١/ ٩١).
(٢) «فتح القَدير» (١/ ٤٨٠).

حَكَمَ الحَاكِمُ أَوْ غَيْرُهُ بذَلكَ، فَقَدْ بَلَغَ قِمَّةَ العَدْلِ وَاسْتَحَقَّ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يُحِبُّهُمُ اللهُ ويُوَالِيهِمْ؛ وذلكَ لأَنَّ عَاقِبَةَ العَدْلِ حَمِيدَةٌ عَلَىٰ الرَّاعِي والرَّعِيَّة «ومِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَىٰ المَرْءِ أَنْ يَطْبَعَهُ عَلَىٰ العَدْلِ وحُبِّه، وعَلَىٰ الحَقِّ وإيثارِه»(١).

قَالَ ابنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللهُ - : «إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَتنَازَعو في أَنَّ عَاقِبَةَ الظُّلْمِ وَخِيمَةٌ، وعَاقِبَةَ العَدْلِ كَرِيمَةٌ؛ وَلِهَذَا يُرْوَىٰ: أَنَّ اللهَ يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ العَادِلَة، وإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً، ولا يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَلَوْ كَانَتْ مُؤْمِنَة»(٢).

٢- العَدْلُ بَيْنَ الزَّوْجات:

يَجِبُ العَدْلُ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ في كُلِّ شَيْءٍ يَكُونُ فِيهِ العَدْلُ عدا المحبَّة القلبيَّة(٣).

---

(١) «الأخْلاق والسِّير» (٩).

(٢) «الحسبة» لشيْخ الإسلام ابن تيميّة (١٦، ١٧).

(٣) لا يجب العَدْلُ بين الزوجات في المحبة القلبية، وكذلك الجماع؛ لأنه سببه المحبة والميل، وهي بيَد مُقلِّب القُلوب؛ ففي سنن أبي داود (١١٤١)، بسَنَد جيِّد قالَهُ الألْبانيُّ في المَشكاة (٣٢٣٥) منْ حَديث عائشة - - أنَّ النَّبيَّ - ﷺ - كانَ يَقْسمُ بَيْنَ نسائه، فيَعْدلُ، ويقول: «اللهُمَّ هَذا قسمي فيما أَمْلِكُ، فلا تَلُمْني فيما تملك ولا أمْلك».

قَالَ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ – : ﴿ **فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ [النساء: ٣].

فَأَبَاحَ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ – للرَّجُلِ أنْ ينْكِحَ مِنْ وَاحِدَةٍ إِلَىٰ أَرْبَعٍ، إِنْ رَأَىٰ مِنْ نَفْسِه القُدْرَةَ عَلَىٰ العَدْلِ، والاقْتِصارُ علَىٰ وَاحِدَةٍ إِذَا خَافَ أَلاَّ يَعْدِل بَيْنَهُنَّ.

وحَذَّرَ النَّبيُّ – ﷺ – مِنَ الجَورِ بَيْنَ الزَّوْجَات. فَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – عَنِ النَّبيِّ – ﷺ – قَالَ: مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَان فَمَالَ إِلَىٰ إِحْدَاهما جَاءَ يَوْمَ القِيَامَة وشِقُّهُ مَائِلٌ»[1].

٣ – العدل بين الأولاد:

العَدْلُ بَيْنَ الأَوْلاد منْ حُقُوق الأَوْلاد عَلَىٰ آبائِهِمْ وَهُوَ شَامِلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ يَكُونُ فِيه العَدْلُ؛ لحديث النُّعْمَان بْن بَشيرٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله – ﷺ – : «**اتَّقُوا اللَّهَ واعْدِلوا في أَوْلادِكُمْ**»[2].

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذيّ (١١٤١)، وابن ماجه (١٩٦٩)، وابن حبان في المورد (١٣٠٧)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في المشكاة (٣٢٣٦).
(٢) رواه البخاريُّ (٢٦٥٠)، ومسلم (١٦٢٣)، واللفظ له.

٤ - العَدْلُ مَعَ الصَّدِيق والعَدُوِّ:

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) ﴾ [المائدة: ٨].

أَيْ لا يَحْمِلَنَّكُمْ عَدَاوَةُ قَوْمٍ وَبُغْضُهُم عَلَىٰ عَدَمِ الْعَدْلِ، كَمَا يَفْعَلُ مَنْ لا عَدْلَ عِنْدَهُ؛ فَإِنَّ العَبْدَ عَلَيْهِ أَنْ يَلْتَزِمَ أَمْرَ اللهِ، وَيَسْلُكَ طَرِيقَ العَدْلِ، فَلا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُقَابِلَ السَّيِّئَةَ بِمِثْلِهَا.

١٢- السَّمَاحَةُ

السَّمَاحَةُ : هى التَّسْهِيلُ والتَّيْسِيرُ عَلَىٰ النَّاسِ في المعاملةِ. والرَّجُلُ السَّمْحُ يُحِبُّهُ اللهُ.

فَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: **«إِنَّ اللهَ - تَعَالَىٰ - يُحِبُّ سَمْحَ الْبَيْعِ، سَمْحَ الشِّرَاءِ، سَمْحَ القَضَاءِ»**(١).

وقَدْ دَعَا رسولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - بالرَّحْمةِ للرَّجُلِ السَّمْحِ، فقَالَ: **«رَحِمَ اللهُ رجُلاً سَمْحًا إذا باعَ، وإذا اشترَىٰ، وإذا اقتضَىٰ»** (٢) ، وفى رُوَايَةٍ: **« وإذا قَضَىٰ»** .

ويُعَلِّقُ ابنُ حَجَرٍ علَىٰ رُوَايةِ البُخاريِّ بقولِهِ: «السُّهولة والسَّمَاحَة مُتقَاربان في المعْنَىٰ، والمُرادُ بالسَّمَاحَةِ تَرْكُ

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (٢ / ٢٧٣)، والحاكم (٢ / ٥٦)، وصححه الألبانيُّ في الصحيحة (٨٩٩)، وصحيح الجامع (١٨٨٨).

(٢) رواه البخاريُّ (٢٠٧٦).

المُضَاجَرَةِ ونَحْوِها ... وإِذَا اقْتَضَىٰ: أَي طَلَبَ قَضَاءَ حَقِّه بِسُهُولَةٍ، وعَدَم إلحَافٍ. وإِذَا قَضَىٰ: أَي أَعْطَىٰ الَّذِي عَلَيْه بِسُهُولَةٍ بغَيْرِ مَطْلٍ.

وفِيه الحَضُّ عَلَىٰ السَّمَاحَةِ في المُعَامَلَةِ، واسْتِعْمَالُ مَعَالِي الأَخْلاقِ، وتَرْكُ المُشَاحَنَةِ، والحَضُّ علَىٰ تَرْكِ التَّضْيِيقِ عَلَىٰ النَّاسِ فِي المُطَالَبَةِ، وأَخْذ العَفْوِ مِنْهُمْ»[1].

ارْضَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا مِثْلَ مَا تَرْضَىٰ لِنَفْسِكْ
إِنَّمَا النَّاسُ جَمِيعًا كُلُّهُمْ أَبْنَاءُ جِنْسِكْ
فَلَهُمْ نَفْسٌ كَنَفْسِكَ وَلَهُمْ حِسٌّ كَحِسِّكْ[2]

صور من السَّمَاحَة:

١ - السَّمَاحَةُ في الدَّيْنِ:

ومِنَ السَّمَاحَةِ في الدَّيْنِ إنظَارُ المُعْسِرِ، أو التَّجَاوز عَنِ القَرْضِ، أو عَنْ جُزْءٍ مِنْهُ، فَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ

(١) «فتح الباري» (٤ / ٣٠٢).
(٢) «أقوال مأثورة» (٤٥٦).

رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذا رَأَىٰ مُعْسِراً قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ**»(١).

ومِنَ السَّمَاحَةِ في الدَّيْنِ: أَنْ تَرُدَّ القَرْضَ بِخَيْرٍ منهُ، أو الزِّيَادَة فيه - بلا شَرْطٍ مِنَ المُقْرِضِ لأنَّهُ رِباً -، فَقَدْ كَانَ رسُولُ اللهِ - ﷺ - يَفْعَلُ ذلكَ، ويَقُولُ: «**أَعْطِهِ؛ فَإِنَّ خَيْرَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً**»(٢).

٢ - قَبولُ العُذْرِ:

مِنَ السَّمَاحَةِ العَفْوُ عَنِ المُذْنِبينَ وَقَبُولِ عُذْرِهِمْ لأَوَّلِ وَهْلَةٍ دُونَ مُضَاجَرَةٍ، وكُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا لابُدَّ أنْ يَهفو وَيُحِبُّ أَنْ يَجِدَ مَنْ يَعْذُرُهُ دُونَ أنْ يُحوِجَهُ إِلَىٰ إراقَةِ مَاءِ وَجْهِهِ بالإلْحَاحِ في طَلَبِ العَفْوِ.

فَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -:

---

(١) رواه البخاريُّ (٢٠٧٨)، واللفظ لَهُ، ومُسْلم (١٥٦٢).
(٢) رواه البخاريُّ (٢٣٠٦)، ومسلم (١٦٠٠) عَنْ أبي هُريرة.

«**مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا، أَقَالَ اللهُ عَثْرَتَهُ**»[١].

ويَتَأَكَّدُ قَبُولُ العُذْرِ في حَقِّ صَاحِبِ المَنْزِلَةِ والوَجَاهَةِ الَّذي لا يُعْرَفُ بالشَّرِّ، فلا نُغْلظُ عليه، ولا نُضَاجِرُهُ؛ لأَنَّ الرَّسُولَ - ﷺ - أَمَرَنا بإِقَالَة عَثْرَته، بقَوْله - ﷺ -: «**أَقِيلُوا ذَوِي الهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلاَّ الحُدُودَ**»[٢].

«فَعُذْرُكَ مَقْبُولٌ لَدَيْنَا مُقَدَّمٌ
وَوُدُّكَ مَقْبُولٌ بِأَهْلاً ومَرْحَبِ
وَلَوْ بَلَّغَتْني عَنْكَ أُذْني أَقَمْتُها
لَدَيَّ مَقَامَ الكاشِحِ المُتَكَذِّبِ
فَلَسْتُ بِتَقْلِيبِ اللِّسَانِ مُصَارِمًا
خليلاً، إِذا مَا القَلْبُ لَمْ يتَقَلَّبِ»

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٣٦٠)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٦٠٧١).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٤٣٧٥)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (٦٣٨)، عن عائشة.

٣ - العفْو:

العَفْوُ إنْ كَانَ في مَحلِّه فَهُوَ مِنَ السَّمَاحَةِ، وَلا يَزْدَادُ بِهِ صَاحِبُهُ إلاَّ عِزاً.

فَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ - ﷺ - قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**وما زَادَ اللّهُ عَبْداً بعفْوٍ إلا عِزاً**» (١).

بَلْ إنَّ العَفْوَ سَبَبٌ لِنَيْلِ المغْفِرةِ مِنَ اللهِ، فَعَنِ ابْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، واغْفِرُوا يُغْفَرْ لكُمْ**» (٢).

سَأُلْزِمُ نَفْسي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ
وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ إِلَيَّ الجَرَائِمُ
فَما النَّاسُ إلاَّ وَاحِدٌ مِنْ ثَلاَثَةٍ:
شَرِيْفٌ، ومَشْرُوْفٌ، ومِثْلٌ مُقَاوِمُ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨).

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٩٧).

فَأَمَّا الَّذي فَوْقي فَأَعْرِفُ فَضْلَهُ
وأتبعُ فِيْهِ الحَقَّ ، والحَقُّ لازِمُ
وأمّا الذى دُوْني فَإنْ قال صُنْتُ عَنْ
إجَابَتِهِ عِرْضي ، وإنْ لامَ لائِمُ
وأمَّا الَّذي مِثْلي فإنْ زَلَّ أَوْ هَفَا
تَفَضَّلْتُ، إنَّ الحِلْمَ لِلْفَضْلِ حَاكِمُ

١٣ - نَفْعُ النَّاسِ

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنَالَ مَحَبَّةَ اللهِ فَكُنْ نَافِعًا لِعِبَادِهِ؛ فَإِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ أَنْفَعُهُمْ.

فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - : **«أَحَبُّ النَّاسِ إِلىٰ اللهِ - تَعَالَىٰ - أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ سُرُورٌ يُدْخِلُهُ عَلَىٰ مُسْلِمٍ، أو يَكْشِفُ عنه كُرْبَةً، أو يَقْضِي عَنْهُ دَيْناً، أو يَطْرُدُ عَنْهُ جُوعاً، ولأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أخٍ في حَاجَةٍ أَحَبُّ إِليَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ في هَذَا المَسْجِدِ (يَعْنِي: مَسْجِدَ المَدِينَةِ) شَهْراً، ومَنْ كَفَّ غَضَبَهُ، سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، ومَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ - ولو شَاءَ أنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ - ملأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ القِيَامَةِ، ومَنْ مَشَىٰ مَعَ أَخِيهِ في حاجَةٍ حتَّىٰ تَتَهَيَّأَ لَهُ، أثبتَ اللهُ قَدَمَهُ يومَ تَزِلُّ الأقدامُ، وإِنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفْسِدُ العَمَلَ، كَمَا يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ»**(١).

---

(١) حسن، أخرجه الطبرانيُّ في الكبير (٣/ ٢٠٩)، وابن عساكر في تاريخه (١٨/ ١)، وحسَّن إسناده الألبانيُّ في الصحيحة (٩٠٦)، وصحيح الجامع (١٧٦).

أَنْوَاعُ النَّفْعِ للنَّاسِ :

وَنَفْعُ النَّاسِ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ، فَمِنْهَا:

نَفْعٌ بالمالِ، ونَفْعٌ بالجَاهِ، ونَفْعٌ بالبَدَنِ والْخِدْمَةِ، ونَفْعٌ بالنَّصِيحَةِ والإرْشَادِ، ونَفْعٌ بالدُّعاءِ والاسْتِغْفَارِ، وَحَاجَةُ النَّاسِ تَخْتَلِفُ مِنْ مَوْقِف إِلَىٰ آخَر، فَهُنَاكَ مَنْ تَكُونُ حَاجَتُهُ إِلَىٰ المَالِ، وَهُنَاكَ مَنْ تَكُون حَاجَتُهُ إِلَىٰ عَمَلٍ أَوْ وَظِيفَةٍ، وهُنَاكَ مَنْ تَكُونُ حَاجَتُهُ إِلَىٰ مُشَارَكَةِ النَّاسِ لَهُ في أَتْرَاحِه، أَوْ أَفْرَاحِه، وَهُنَاكَ مَنْ تَكُونُ حَاجَتُهُ في وَضْعِ الدَّيْنِ عَنْهُ أَوْ إِرْجَائِهِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الحَاجَات، وكُلُّ ذَلِكَ يَدْخُلُ في القَاعِدَةِ العَامَّة، وهي أَنْ يَكونَ المُسْلِمُ في حَاجَةِ أَخِيهِ، وعَلَىٰ المُسْلِمِ أَنْ يَعْلَمَ أنَّ هذَا النَّفْعَ لا يَرْجِعُ إِلَىٰ صاحبِ الحَاجَةِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا يَشْمَلُ - أَيْضًا - النَّافِعَ؛ لأنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - يَكُونُ في حَاجَتِهِ، هَذَا في الدُّنْيا، ويُجَازِيهِ عَلَيْهَا أَفْضَلُ جزَاءٍ يَوْمَ القِيَامَةِ(١).

---

(١) انظرْ «نضْرة النعيم» (٨ / ٣٤٦٠) بتصرف.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: **«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنيا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القيامةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ في الدُّنْيَا والآخرةِ، ومَنْ سَتَرَ مُسْلِماً، سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنيا والآخرةِ، واللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كَانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيْه»**(١).

فَمَا أَحْرَاكَ أَخِي أَنْ تَعْقِدَ عَلَىٰ نَفْعِ إِخْوَانِكَ خَنْصَرَكَ، وتَعضَّ عَلَيْه نَاجِذَكَ، وَاحْمَدِ اللهَ الَّذي جَعَلَ إِلَيْكَ للنَّاسِ حَاجَات، وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَ لَكَ إِلَىٰ النَّاسِ حَاجة، واحْمَدِ اللهَ الَّذي جَعَلَ يَدَكَ هي العُلْيَا، وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهَا السُّفْلَىٰ وهو - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - اسْتَخْلَفَكَ في هَذه الدُّنْيَا، فَنَاظِرٌ إِلَىٰ ما تَصْنَعْ.

النَّاسُ بالنَّاسِ ما دَامَ الحَيَاةُ بِهِمْ
والسَّعْدُ - لا شكَّ - تَارَاتٌ وهَبَّاتُ(٢)

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).
(٢) هبَّات: جَمْعُ هَبَّة، وهي السَّاعة.

وَأَفْضَلُ النَّاسِ مَا بَيْنَ الوَرَىٰ(١) رَجُلٌ
تُقْضَىٰ عَلَىٰ يَدِهِ لِلنَّاسِ حَاجَاتُ
لا تَمْنَعَنَّ يَدَ المَعْرُوْفِ عَنْ أَحَدٍ
مَادُمْتَ مُقْتَدِراً ، فَالسَّعْدُ تَارَاتُ
وَاشْكُرْ فَضَائِلَ صُنْعِ اللهِ إِذْ جُعِلَتْ
إِلَيْكَ ، لا لَكَ عِنْدَ النَّاسِ حَاجَاتُ
قَدْ مَاتَ قَومٌ، ما ماتَتْ مَكَارِمُهُمْ
وعَاشَ قَوْمٌ وهُمْ في النَّاسِ أَمْوَاتُ(٢)

---

(١) الوَرَىٰ : الْخَلْق .
(٢) «ديوان الشَّافعيّ» (٤٢) .

١٤ - مَحَبَّةُ الصَّالحين

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنَالَ مَحَبَّةَ اللهِ فَإِنَّ مَحَبَّةَ الصَّالحِينَ ومُجَالَسَتَهُمْ مِنْ مُوجِبَاتِ مَحَبَّةِ اللهِ.

فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: **«قَالَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، ووَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، ووَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ»**(١).

فَقَدْ دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَىٰ أَنَّ مَحَبَّةَ الصَّالحِينَ وَمُجَالَسَتَهُمْ تُوجِبَانِ مَحَبَّةَ اللهِ؛ فَعَلَيْنَا أَوَّلاً أَنْ نَبْحَثَ عَنْهُمْ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: **«الرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»**(٢).

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٢٣٣٥)، والطبراني في الكبير (٨٠/ ٢٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٨٨٦)، وصححه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٤٣٣١).

(٢) حسن، رواه أحمد (٧٢١٢)، وأبو داود (٤٨٣٣)، وحسَّنه الألبانيُّ في الصحيحة (١٢٧).

فـفي هَذَا الحَـديث حَثَّ النَّبيُّ - ﷺ - عَلَىٰ انْتِـقَـاءِ الإِخْوَانِ، واخْتيَارِهِم، فنخْتَارُ الصَّالِحينَ المَعْرُوفينَ بِحُسْنِ السِّيرَةِ وَسَلامَةِ المُعْتَقَدِ.

فَعَنْ عَمرو بْن العَاصْ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: **«إِنَّ آلَ فُلانٍ لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»**(١).

وَقَدْ ذَكَرَ المَاورديُّ - رَحِمَهُ اللهُ - خصَالاً مُعْتَبَرة في إِخَاءِ الإِخْوَانِ، وهيَ:

١ - عَقْلٌ موفورٌ يهدي إِلىٰ مراشد الأمورِ.

٢ - الدِّين الواقف بصاحبِهِ علَىٰ الخيراتِ.

٣ - أَنْ يكُونَ محمودَ الأخْلاقِ، مرضيَّ الأفْعالِ، مُؤثرًا للخَيْرِ آمرًا به، كَارِهًا للشرِّ ناهيًا عنهُ.

٤ - أن يكونَ مِنْ كُلِّ واحدٍ مِنْهُما مَيْلٌ لِصاحِبِهِ، ورغبةٌ في مُؤاخاتِه»(٢).

---

(١) رواه البخاريُّ (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥).

(٢) «أدب الدُّنيا والدِّين» (ص١٦٧، ١٦٨).

وَأَهْوَى مِنَ الشُّبَّانِ كُلَّ مُجَنَّبٍ
عَنِ اللَّهْوِ مِقْدَامًا إِلى كُلِّ طاعَةِ
أَخو عِفَّةٍ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مُحَرَّمٍ
وذُو رَغْبَةٍ فيما يَقُودُ لجَنَّةِ
تَمَسَّكْ بِهِ - إِنْ تَلْقَهُ - يا أخا التُّقَىٰ
تَمَسُّكَ ذِي بُخْلٍ بِتِبْرٍ [1] وفِضَّةِ

---

(١) التِّبْرُ: مَا كَانَ مِنَ الذَّهَبِ غَيْرَ مَضْرُوبٍ، أَوْ غَيْرَ مَصْنُوعٍ، واحِدهُ تِبْرَة.

١٥ - الأَخْلاقُ (١)

الأَخْلاقُ تَعشَقُهَا القُلُوبُ وَتَهْفو إِليها النُّفُوسُ، بِهَا تُنَالُ الدَّرَجَاتُ وتُرْفَعُ المَقَامَاتُ، وقَدْ بَعَثَ اللهُ نبيَّهُ - ﷺ - لِيُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ، فأَخْبَرَنَا بِمَحَبَّةِ اللهِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ.

فَعَنْ أُسَامَةَ بْن شريكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - : «**أَحَبُّ عِبَادِ اللهِ إِلَىٰ اللهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»(٢).

تَعْرِيفُ الأَخْلاقِ:

هيَ سَلامَةُ النَّفْسِ نَحْوَ الأَرْفَقِ الأَحْمَدِ مِنَ الأَفْعَالِ، وقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ في ذَاتِ اللهِ - تَعَالَىٰ -، وَقَدْ يَكُونُ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ(٣).

(١) انظر كتابي «الأخْلاق بين الطبع والتطبع» (ص٢١ وما بعدها) بتصرُّفٍ واختصار.

(٢) صحيح، رواه الطبراني في «الكبير» (٤٧١)، والحاكم في «المُسْتَدْرك» (٤ / ٣٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١ / ١٧٩)، و«الصحيحة» (٤٣٣).

(٣) «مختصر شعب الإيمان» للقزويني (١١٦ - ١١٧).

أَسْبَابُ اكْتِسَابِ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ:

١- الإِخْلاص:

للإِخْلاصِ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ في الأَخْلاقِ؛ فَهُوَ يَمُدُّ قَلْبَ صَاحِبِهِ بِقُوَّةٍ تَجْعَلُهُ يَنْهَضُ لِلْمَكَارِمِ؛ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ؛ لأَنَّ الأَخْلاقَ عِبَادة يكَمِّلُ بِهَا الإِنْسانُ إِيمَانَهُ؛ لِحَدِيث أبي هُرَيْرَة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - : «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»[١].

وَلَنْ يُسْتَكْمَلَ إِيمَانُ المَرْءِ حَتَّىٰ يَكُونَ عَمَلُهُ خَالِصًا لِوَجْهِ اللهِ صَوَابًا عَلَىٰ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - .

وَعَنْ أَبي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - : «**مَنْ أَحَبَّ للهِ، وأبغضَ للهِ، ومَنَعَ للهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمانَ**»[٢].

---

(١) صحيح، رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذيُّ (١١٦٢)، وصححه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٢٨٤)، و«صحيح الجامع» (١٢٣٢).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٤٦٨١)، والترمذيُّ (٢٥٢١)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٩٥٦٥).

٢ - العِلْمُ :

العِلْمُ أَصْلٌ عظيمٌ مِنْ أُصُولِ الأَخْلاقِ فَهُوَ يُثمِرُ التَّدَيُّنَ الصَّحيح، فَكَمْ مِنْ آيَةٍ في كِتَابِ اللهِ تَقْرَؤها، فَتُرَقِّقَ قَلْبَكَ للإِحْسَان، والرَّحْمَة، والحَنَان، وكَمْ مِنْ حَدِيثٍ تتخَلّق به مَعَ النَّاسِ، يَجْلِبُ لَكَ مَحبَّةَ اللهِ، ثُمَّ مَحبَّةَ النَّاسِ.

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ - رَحِمَهُ اللهُ -: «مَنْفَعَةُ العِلْمِ في اسْتِعْمَالِ الفَضَائِلِ عظيمَةٌ، وَهُوَ أنَّهُ يُعَلِّمُ حُسْنَ الفَضَائِلِ، فيَأْتيهَا - وَلَوْ في النُّدْرَةِ - ويُعَلِّمُ قُبْحَ الرَّذائِلِ، فَيَجْتنبهَا - ولو في النُّدْرَةِ -، ويُسَمِّعُ الثَّناءَ الحَسَنَ، فيرغبُ في مِثْله، والثَّناءَ الرَّديَّ، فينفرُ مِنْهَ، فَعَلَىٰ هَذه المُقَدِّمات يَجبُ أَنْ يَكُونَ للْعِلْمِ حِصَّةٌ في كُلِّ فضيلةٍ، ولِلْجَهْلِ حِصَّةٌ مِنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ.

وهَذِهِ مَنْزِلَةٌ خُصَّ بهَا النَّبيُّونَ - عَلَيْهِم السَّلام -؛ لأنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - عَلَّمَهُم الخَيْرَ كُلَّهُ، دونَ أنْ يَتَعَلَّمُوه مِنَ النَّاسِ»(١).

---

(١) «الأخْلاق والسِّيَر» (٩٣).

٣ - العقيدة الصَّحيحة:

العَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ هِيَ أَصْلُ الأَخْلاقِ وَمَصْدَرُهَا، فَإِذَا ثَبَتَتْ واسْتَقَرَّتْ، أَثْمَرَتِ الأَخَلاقَ الفَاضِلَة.

فَالإِصْلاحُ مَبْدَؤُهُ مِنَ القَلْبِ، وَكَذَلِكَ الفَسَادُ، ثُمَّ يَتَّسِعُ لِيَشْمَلَ إِرادَةَ الإِنْسَانِ وأَفْعَالَهُ فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنَ بَشِيرٍ - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «**أَلاَ وإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ: أَلاَ وهي القَلْبُ**»(١).

قَالَ الغَزالِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «آدَابُ الظَّواهِرِ عُنوانُ آدابِ البَواطِنِ، وَحَرَكَاتُ الجَوَارِحِ ثَمَرَاتُ الخَواطِرِ، والأَعْمَالُ نَتِيجَةُ الأَخْلاقِ، والآدَابُ رَشْحُ المَعَارِفِ، وسَرَائِرُ القُلوبِ هي مَغَارِسُ الأَفْعَالِ ومَنَابِعُهَا، وَأَنْوَارُ السَّرَائِرِ(٢). وهِيَ الَّتِي تُشْرِقُ عَلَىٰ الظَّوَاهِرِ، فَتُزَيِّنُهَا وتُجَلِّيْهَا، وتُبَدِّلُ المَحَاسِنَ بِمَكَارِمِهَا وَمَسَاوِيهَا، ومَنْ لَمْ يَخْشَعْ قَلْبُهُ، لَمْ تَخْشَعْ

(١) رواه البُخاريُّ (٥٢)، وَمُسْلمُ (١٥٩٩).
(٢) السَّرائر: القُلُوب، مُفرده سريرةٌ.

جَوَارِحُهُ، ومَنْ لَمْ يَكُنْ صَدْرُهُ مشكاةَ[١] الأَنْوَارِ الإِلَهيَّةِ، لَمْ يُفِضْ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ جَمَالَ الآدَابِ النبويَّةِ»[٢].

٤ - النَّظَرُ في كتابِ الله:

كتَابُ اللهِ - سُبحانَهُ وتَعَالَىٰ - جَمَعَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ خَيْرُ جَمْعٍ، فَمَنْ أَرَادَ الأَخْلاقَ فَلْيُحاوِلْ جَاهِداً أَنْ يَتَخَلَّقَ بِأَخْلاقِ القُرْآنِ.

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ - رَحِمَهُ اللهُ - : «مَنْ جَهِلَ الفَضَائِلَ، فَلْيَعْتَمِدْ عَلَىٰ مَا أَمَرَ اللهُ - تَعَالَىٰ - ، ورسُولُهُ - ﷺ - فإِنَّهُ يحْتَوي عَلَىٰ جَمِيعِ الفَضَائِلِ»[٣].

٥ - التَّأَسِّي بالنَّبِيِّ - ﷺ -:

النَّبيُّ - ﷺ - هُوَ الأُسْوَةُ الحَسَنَةُ، الَّذي أَمَرَنَا اللهُ بالتَّأَسِّي بِهِ في أَقْوَالِهِ، وأَفْعَالِهِ، وأَحْوَالِهِ.

---

(١) المشْكاة: فجوةٌ في الجدار، لا تصل فتحته إِلَىٰ الطَّرف الثَّاني منه، شبه الصَّدْرَ بها.
(٢) «الإِحْياء» (٢ / ٣٥٧).
(٣) «الأَخْلاق والسِّير» (١٧٦).

قَالَ اللّهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [الأَحْزاب : ٢١] .

قَالَ ابنُ حَزْمٍ - رَحِمَهُ اللهُ -: « مَنْ أَرَادَ خَيْرَ الدُّنيا والآخِرَةِ، وَحِكْمَةَ الدُّنْيَا، وَعَدْلَ السِّيرَةِ، والاحْتِوَاءَ عَلَىٰ مَحَاسِنِ الأَخْلاقِ كُلِّها، واسْتِحْقَاقَ الفَضَائِلِ بِأَسْرِهَا ـ فَلْيَقْتَدِ بِمحمَّدٍ ـ ﷺ ـ، وَلْيَسْتَعْمِلْ أَخْلاقَهُ وسِيَرَهُ ما أَمْكَنَهُ، أَعَانَنَا اللهُ علَىٰ الاتِّسَاءِ بِهِ بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ »[1] .

٦ - الدُّعَاءُ :

الدُّعَاءُ سَبَبٌ عَظِيمٌ لِنَيْلِ مَكارِمِ الأَخْلاقِ، وَقَدْ كَانَ النَّبيُّ ـ ﷺ ـ كَثِيرُ الضَّرَاعَةِ إِلَىٰ رَبِّهِ أَنْ يَرْزُقَهُ حُسْنَ الخُلُقِ، فَكَانَ يَقُولُ في دُعَاءِ الاسْتِفْتَاحِ مِنْ صَلاةِ اللَّيْلِ : **«اللَّهُمَّ، اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إلاَّ**

---

(١) «الأخْلاق والسِّير» (٩١).

أَنْتَ، واصْرِفْ عنِّي سيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عنِّي سَيِّئَهَا إلاَّ أَنْتَ»(١).

٧ - العَمَلُ الصَّالِح:

الإِيمَانُ والعَمَلُ الصَّالِحِ يبعَثَانِ عَلَىٰ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَهُمَا النِّظَامُ الدَّاخليُّ الَّذي يُقَوِّمُ أَخْلاقَ المَرءِ ويُوَجِّهُهَا.

وإنِّي لَيُثْنِيني عَنِ الجَهْلِ وَالخَنَا
وعَنْ شَتْمِ ذِي القُرْبَىٰ - خَلائِقُ أَرْبَعُ:
حَيَاءٌ، وإسْلامٌ، وتَقْوَىٰ، وَطَاعَةٌ
لِرَبِّي، وَرَبِّي مَنْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ(٢)

٨ - الرُّفْقَةُ الصَّالِحَة:

الرُّفْقَةُ الصَّالِحَة مِنْ أَعْظَمِ الأَسْبَابِ المُعِينَة عَلَىٰ مَحَاسِنِ الأَخْلاقِ.

---

(١) رواهُ مُسلم (٧٧١).
(٢) «أدب الدُّنيا والدِّين» (٢٥٠).

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**الرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِه؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُم مَنْ يُخَالِلُ**»(١).

ومَعْنَىٰ الحَدِيثُ أَنَّ الإنْسَانَ في الدِّينِ والأَخْلاق عَلَىٰ قَدْرِ مَنْ يُصَاحِب؛ فَلْيَنْظُرْ مَنْ يُصَاحِب، فَإِنْ صَاحِبَ الصَّالِحِينَ صَارَ مِنْهُمْ، وإِنْ صَاحِبَ سِوَاهُم صَارَ مِثْلَهُمْ، وَقَدِيمًا قِيلَ: «قُلْ لِي: مَنْ تُصَاحِبْ؟، أُخْبِرْكَ مَنْ أَنْتَ».

أَنْتَ فِي النَّاسِ تُقَاسُ ... بِالَّذِي اخْتَرْتَ خَلِيلا
فَاصْحَبِ الأَخْيَارَ تَعْلُو ... وتَنَلْ ذِكْرًا جَمِيلاً

٩ - المُحَاسَبَةُ:

زَكَاةُ النَّفْسِ وَطَهَارتُهَا مَوْقُوفٌ عَلَىٰ مُحَاسَبَتِهَا.

قَالَ ابْنُ المُقَفَّعِ: «لِيَحْسُنْ تعاهُدُكَ لِنَفْسِكَ، بِمَا تَكُونُ بِهِ لِلْخَيرِ أَهْلاً؛ فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ، أَتَاكَ الخَيْرُ يَطْلُبُكَ، كَمَا يَطْلُبُ المَاءُ السَّيلَ إِلىٰ الحُدُورَةِ(٢)»(٣).

---

(١) حسنٌ، رواه أبو داود (٧٨٣٣)، والتِّرْمذيُّ (٣٣٧٨)، وحَسَّنَهُ الألباني في «الصحيحة» (٩٢٧).
(٢) الحُدُورة: المنخفض من الأرض.
(٣) «الأدب الصَّغير والأَدَب الكَبير» (٩٠).

١٠- المُجاهدَة:

الأَخْلاقُ منْهَا مَا هُوَ طَبْعٌ يَتفَضَّلُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَىٰ بَعْضِ خَلْقِه فَيَجْبِلَهُمْ عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِ كَسْبٍ مِنْهُمْ، ومَنْ حُرِمَ الخُلُقَ عَلَىٰ سَبيلِ الطَّبعِ؛ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَنَالَهُ عَلَىٰ سَبيلِ التَّطَبُّعِ بِمُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ وَحَمْلِهَا عَلَىٰ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ فَإِنَّ النَّفْسَ قَابِلَةٌ لِذَلِكَ.

قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيُّ:

والنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا
وإِذَا تُرَدُّ إِلَىٰ قَلِيلٍ تَقْنَعُ

قَالَ ابنُ قُدامَةَ - رَحِمَهُ اللهُ - : «وَقَدْ زَعَمَ مَنْ غَلَبَتْ عَلَيهِ البطَالَةُ؛ فَاسْتَثْقَلَ الرِّيَاضَةَ: أَنَّ الأَخْلاقَ لا يُتَصَوَّرُ تَغييرُها، كَمَا لا يتصوَّرُ تَغْييرُ صورةِ الظَّاهِرِ!، وَالجَوَابُ أَنَّهُ لَوْ كَانَتِ الأَخْلاقُ لا تَقْبَلُ التَّغْيير، لَمْ يَكُنْ لِلْمَوَاعِظِ وَالوَصَايا مَعْنًى، كَيْفَ تُنْكِرُ تَغْييرَ الأَخْلاقِ؟! وَنَحْنُ نَرَىٰ الصَّيْدَ الوَحْشِيَّ يُسْتَأْنَسُ، وَالْكَلْبُ يُعَلَّمُ تَرْكَ الأَكْلِ،

والْفَرَسُ تُعَلَّمُ حُسْنَ المَشْيِ، وجَوْدَةَ الانْقيَادِ، إلاَّ أنَّ بَعْضَ الطِّبَاعِ سَرِيعَة الْقَبُولِ للصَّلاحِ، وبَعْضَهَا مُسْتَعْصِيَةٌ»(١).

١١- عُلُوُّ الهِمَّةِ:

عُلُوُّ الهِمَّةِ: «هُوَ اسْتِصْغَارُ مَا دُونَ النِّهَايَةِ مِنْ مَعَالِي الأُمُورِ»(٢).

وتَعْلُو أخْلاقُ المَرْءِ وَتَسْمُو بِقَدْرِ نَصِيبِهِ مِنْ عُلُوِّ الهِمَّةِ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «فَمَنْ عَلَتْ هِمَّتُهُ، وخَشَعَتْ نَفْسُهُ، اتَّصَفَ بِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ، ومَنْ دَنَتْ هِمَّتُهُ، وطَغَتْ نَفْسُهُ، اتَّصَفَ بِكُلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ»(٣).

١٢- الاسْتِفَادَةُ مِنَ الآخرِينَ:

اللَّبِيبُ يَسْتَفِيدُ من كُلِّ مَنْ يُخَالِطُهُ، سَوَاءٌ كَانَ نَاقِصًا أَمْ كَامِلاً، وَأَكْثَرُ العُقَلاءِ والحُكَمَاءِ يَتَعَلَّمُونَ المَكَارِمَ مِنَ الموصُوفِينَ بِأَضْدَادِهَا!.

---

(١) «مختصر منهاج القاصدين» (١٥٢).
(٢) «رسَائلُ الإِصْلاحِ» لمحمد الخضر حسين (٢/ ٨٦).
(٣) «الفوائد» (٢١١).

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَتَعَلَّمُ المُروءَةَ، ومَكَارِمَ الأَخْلاقِ مِنَ المَوصُوفِينَ بأضْدادِهَا، كَمَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ الأَكَابِرِ أنَّهُ كَانَ لَهُ مَمْلُوكٌ سَيِّئُ الخُلُقِ، فَظٌّ غَلِيظٌ، لا يُنَاسِبُهُ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي أَدْرِسُ عَلَيْهِ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ!».

«وَهَذا يكُونُ بِمَعْرِفَةِ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ في ضِدِّ أَخْلاقِه، ويَكُونُ بِتَمْرِينِ النَّفْسِ عَلَىٰ مُصَاحَبَتِه، وَمُعَاشَرَتِه، والصَّبْرِ عَلَيْه»(١).

١٣- النَّظَرُ في عَوَاقِبِ سُوءِ الخُلُقِ:

سيِّئُ الخُلُقِ مَذْكُورٌ بالذِّكْرِ القَبيحِ، يَمْقُتُهُ اللهُ - عزَّ وجلَّ -، ويُبْغِضُهُ الرَّسُولُ - ﷺ -، ويُبْغِضُهُ النَّاسُ عَلَىٰ اخْتِلافِ مَشَارِبِهِمْ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: **«وإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وأَبْعَدَكُمْ مِنِّي في الآخِرَةِ، أَسْوَؤُكُمْ أَخْلاقًا»**(٢).

---

(١) «مدارجُ السَّالكين» (٢ / ٣٣٥).
(٢) صحيح، رواهُ ابنُ مَاجَةَ (٤٢٢٤)، وصححه الألبانيُّ في «الصحيحة» (١٧٤٠).

قَالَ الغَزَالِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «الأَخْلاقُ السَّيِّئَةُ هي السُّمُومُ القَاتِلَةُ، والمُهْلِكَاتُ الدَّامِغَةُ، والمَخَازِي الفَاضِحَةُ، والرَّذَائِلُ الوَاضِحَةُ، والخَبَائِثُ المُبْعِدَةُ عَنْ جِوَارِ رَبِّ العَالمِينَ، المُنخَرِطَةُ بِصَاحِبِهَا في سِلْكِ الشَّيَاطِينِ، وهِيَ الأَبْوَابُ المَفْتُوحَةُ إِلَىٰ نَارِ اللهِ المُوْقَدَةِ، الَّتي تَطَّلعُ عَلَىٰ الأَفْئِدَةِ»[١].

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/٥٣).

صورٌ مِنَ الأخلاق

١ - الحَيَاءُ :

خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَىٰ فِعْلِ الجَمِيلِ، وَاجْتِنَابِ القَبِيحِ، وَهُوَ الخُلُقُ المُمَيِّزُ لأَتْبَاعِ هَذا الدِّين.

فَعَنْ أَنَسٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: **«إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وإِنَّ خُلُقَ الإِسْلامِ الحَيَاءُ»**(١).

وَحَذَّرَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - مِنْ كَسْرِ حَاجِزِ الحَيَاءِ لِئَلاَّ يَقَعَ الإِنْسَانُ في كُلِّ قَبِيحٍ.

فَعَنِ أَبِي مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: **«إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولَىٰ: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»**(٢).

---

(١) حَسَنٌ، رواه ابن ماجه (٤١٨١)، وحَسَّنه الألبانيُّ في «الصحيحة» (٩٤٠).

(٢) رواه البخاريُّ (٣٤٨٣).

إِذا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالي
ولم تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
فَلا واللهِ، مَا فِي العَيْشِ خَيْرٌ
ولا الدُّنْيَا، إِذا ذَهَبَ الحَيَاءُ

٢ - برُّ الوَالِدَيْنِ:

أَحَقُّ النَّاسِ بالبِرِّ وحُسْنِ المُعَامَلَة، وجَميلِ الأَخْلاق هُمَا الوَالِدَانِ؛ لأنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لأَحَدٍ حَقًّا يَلي حَقَّهُ وَحَقَّ رَسُولِه - ﷺ - إِلاَّ الوَالِدَيْن، قَالَ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النِّسَاء: ٣٦].

فاللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - حَرَّمَ الشِّرْكَ، وأَمَرَ بالإِحْسَانِ، ومُقْتَضَىٰ ذَلكَ أنْ يَأْمُرَ بالتَّوْحِيدِ، ويُحَرِّمَ العُقُوقَ، فَكَانَ الشِّرْكُ مُلازِمًا للعُقُوقِ، والتَّوْحِيدُ قَرِينُ الإِحْسَانِ.

٣ - صِلَةُ الرَّحِمِ:

الرَّحِمُ هُمُ القَرَابَةُ مِنَ النَّسَبِ والأَصْهَارِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ مِنَ الحُقُوقِ الَّتي دَعَتْ إِلَيْهَا الفِطَرُ السَّلِيمَةُ والأَخْلاقُ القَوِيمَةُ،

والشَّرِيعَةُ السَّمْحَةُ، قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى ﴾ [النساء: ٣٦].

وَحَثَّ النَّبِيُّ - ﷺ - عَلَىٰ تَوْثِيقِ الصِّلاتِ بَيْنَ الأَقَارِبِ.

فَعَنِ ابْنِ مَسْعُود - رضي الله عنه - أنَّ رسُولَ الله - ﷺ - قَالَ: «**اتَّقُوا اللهَ، وصِلُوا أَرْحَامَكُمْ**»(١).

وَحَثَّنَا - أيضًا - عَلَىٰ حَقِّ الرَّحِمِ، وإِنْ عَامَلُونا بالجَفْوَةِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ ويَقْطَعُونَنِي وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، ويُسِيئُونَ إِلَيَّ، وأَحْلُمُ عَنْهُم ويَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ - ﷺ - : «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ(٢) المَلَّ(٣)، ولاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ(٤) عَلَيْهِمْ، مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ**»(٥).

---

(١) حَسَنٌ، رَوَاهُ ابنُ عساكر (١٦ / ٧٤)، وحسَّنَهُ الأَلْبانيُّ في «الصحيحة» (٨٦٩).
(٢) تُسِفُّهُم: منَ السُّفُوف، أي: تُطعِمُهُم وتُلْقِمُهُمْ.
(٣) المَلُّ: التربةُ المحماةُ تُدفَنُ فيها الخُبْزَةُ.
(٤) الظَّهِير: المعين والنَّاصرُ.
(٥) رواه مُسْلمُ (٢٥٥٨).

وحَسْبُكَ مِنْ ذُلٍّ، وسُوءِ صَنيعَةٍ
مُناواةُ[١] ذي القُرْبَىٰ، وإنْ قِيلَ قَاطِعُ
ولَكِنْ أُوَاسِيْهِ، وأَنسَىٰ ذُنُوبَهُ
لتُرجِعَهُ يَوْماً إليَّ الرَّواجِعُ
ولا يَسْتَوِي في الحُكْمِ عَبْدَانِ: وَاصِلٌ
وَعَبْدٌ لأَرْحَامِ القَرَابَةِ قَاطِعُ[٢]

٤ - حُسْنُ الجِوارِ:

لِلْجارِ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ وَمَكَانَةٌ عَلِيَّةٌ، والأَدِلَّةُ في الوَصِيَّةِ بالجَارِ وَمُرَاعَاةِ حقِّهِ أَشْهَرُ مِنْ نَارٍ عَلَىٰ عَلَمٍ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ[٣] وَالْجَارِ الْجُنُبِ[٤] ﴾ [النِّسَاء: ٣٦].

---

(١) مُنَاوَاة: مُعَادَاة.
(٢) «أدبُ الدُّنْيَا والدِّين» (١٥٣).
(٣) الجارُ ذي القُرْبَىٰ: الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَة.
(٤) الجَار الجُنُبِ: الَّذي لَيْسَ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ قَرَابة.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ وعَائِشَةَ - رضي الله عنهما - قَالا: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**مـا زالَ جِبْرِيلُ يُوصِيني بـالجـار، حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه سَيُوَرِّثُهُ**[١]»[٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ -: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلا يُؤْذِ جَارَهُ**». وفي روايةٍ: «**فَلْيُحْسِنْ إِلَىٰ جارِهِ**»[٣].

والحَدِيثُ عَنِ الجَارِ ذُو شُجونٍ، لَكِنْ يَكْفي مِنَ القِلادَةِ مَا أَحَاطَ بِالعُنُقِ.

فَمَا أَحَدٌ مِنَّا بِمُهْدٍ لِجَارِهِ
أذاةً، ولا مُزْرٍ بِهِ وهو عَائِدُ
لأَنَّا نَرَىٰ حَقَّ الجِوَارِ أَمَانَةً
ويَحْفَظُهُ مِنَّا الكَرِيمُ المُعَاهِدُ

---

(١) أي ظَنَنْتُ أنَّهُ سيبلغني الأمْرَ عن الله بتوريث الجار جاره.
(٢) رواه البُخَاريُّ (٦٠١٤)، ومُسْلم (٢٦٢٤).
(٣) رواه البخاريُّ (٥١٨٥)، ومسلمُ (٤٧).

٥ - الصَّبْرُ:

الصَّبْرُ سَيِّدُ الأَخْلاقِ، والطَّرِيقُ إِلَىٰ الإِمَامَةِ في الدِّينِ، والقُرْبُ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ، فَقَدْ أَخْبَرَ - سُبْحَانَهُ - في كِتَابِه الكَرِيمِ أَنَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - يُحِبُّ الصَّابِرِينَ، فقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وذَكَرَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - الصَّبْرَ في كِتَابِه العَزِيزِ في نَيِّفٍ[(١)] وَتِسْعِينَ مَوْطِنًا، وكُلُّها تَدُلُ عَلَىٰ وُجُوبِه[(٢)]، وَأَضَافَ أَكْثَرُ الدَّرَجَاتِ والخَيْرَاتِ إِلَىٰ الصَّبْرِ، وَجَعَلَهَا ثَمَرَةً لَهُ، وَجَمَعَ للصَّابِرِينَ بَيْنَ أُمُورٍ لَمْ يَجْمَعها لغَيْرِهِمْ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [البقرة: ١٥٧][(٣)].

وبَشَّرَنَا نَبِيُّنَا - ﷺ - بِقَوْلِهِ: «ما يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ

---

(١) النَّيِّفُ: مِنَ الوَاحِد إِلَىٰ التِّسْعة، ونيَّف بمعنىٰ زاد.

(٢) قَالَ ابنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ - في كِتَابه «مدارج السَّالِكِين» (٢ / ١٥٢): «وهو واجِبٌ بإِجْمَاعِ الأُمَّة».

(٣) انظر «عدّة الصَّابرين» (٩٨).

نَصَبٍ(١)، ولا وَصَبٍ(٢)، ولا هَمٍّ، ولا حَزَنٍ، ولا أَذًى، ولا غَمٍّ حَتَّىٰ الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا - إلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاه».

قَــدْ ذُقْتُ حُلْواً، وذُقْتُ مُــرّاً
كَــذَاكَ عَــيْشُ الفَــتَىٰ ضُــرُوبُ
لَـمْ يَـمْضِ بُـؤْسٌ وَلا نَـعِــيـمٌ
إلاَّ وَلِي فِــيــهِــمَــا نَصِــيبُ

والْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ مِنَ البَلاءِ عَلَىٰ قَدْرِ دِينِهِ.

فَعَنْ سَعْد بْنِ أبي وَقَّاصٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قُلْتُ: يا رَسولَ الله، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟.

قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، يُبْتَلَىٰ الْعَبْدُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ، فإنْ كَانَ في دِينِهِ صُلْبًا، اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وإنْ كَانَ في دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلاءُ بالْعَبْدِ حَتَّىٰ يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَىٰ الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ»(٣).

---

(١) نَصَبٍ: تَعَبٍ.
(٢) وَصَبٍ: مَرَض.
(٣) صحيح، رواه التِّرْمذيُّ (٢٣٩٨)، وصَحَّحه الألبانيُّ (٩٩٢).

عَلَىٰ قَدْرِ فَضْلِ المَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ
وَيُحْمَدُ مِنْهُ الصَّبْرُ مِمَّا يُصِيبُهُ
فَمَنْ قَلَّ فِيمَا يَتَّقِيهِ اصْطِبَارُهُ
لَقَدْ قَلَّ فِيمَا يَرْتَجِيهِ نَصِيبُهُ

الصَّبْرُ طَرِيقٌ إِلَى عُلُوِّ المَنْزِلَةِ عِنْدَ اللهِ:

العَبْدُ إِنْ لَمْ يَبْلُغْ مَا كُتِبَ لَهُ بِعَمَلِهِ، ابْتُلِيَ حَتَّىٰ يصل إِلَىٰ مَنْزِلَتِهِ الَّتِي أَنْزَلَهُ اللهُ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ المَنْزِلَةُ عِنْدَ اللهِ، فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلا يَزَالُ اللهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ؛ حَتَّىٰ يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا**»(١):

وَعَنْ جَابِرٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: «**لَيَوَدَّنَّ أَهْلُ العَافِيَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَّ جُلُودَهُمْ قُرِضَتْ بِالمَقَارِيضِ؛ مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ البَلاءِ**»(٢).

---

(١) حسن، أخرجه أبو يعلَىٰ في مُسْنَده (٤ / ١٤٤٧)، والحاكم في مستدركه (١ / ٣٤٤)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٥٩٩).
(٢) حسن، رواه الترمذي (٢٤٠٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٨٤).

اصْبِرْ، فَفي الصَّبْرِ خَيْرٌ، لَوْ عَلِمْتَ بِه
لَكُنْتَ بارَكْتَ -شُكْرًا- صَاحِبَ النِّقَمِ
واعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ لَمْ تَصْطَبِرْ كَرَماً
صَبَرْتَ قَهْرًا عَلَىٰ مَا خُطَّ بِالقَلَمِ

شروط الصبر المشروع:

١ - الإِخْلاص:

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ -: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثيرٍ - رَحِمَهُ اللهُ - في تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيةِ: «أَيْ عَنِ المَحَارِمِ والمَآثِمِ، فَفَطَمُوا أَنْفُسَهُمْ عنها للهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِه، وَجَزِيلِ ثَوَابِه»(١).

وَقَالَ الشيخُ عبد الرَّحْمَن السَّعْديُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: «﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ عَلَىٰ المَأْمُورَاتِ بالامْتِثَال، وَعَنِ المَنْهِيَّاتِ بالانْكِفَافِ عَنْهَا، والبُعْدِ مِنْهَا، وَعَلَىٰ أَقْدَارِ اللهِ المُؤْلِمَةِ بِعَدَمِ تَسَخُّطِهَا.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٠٦).

ولَكِنْ بشَرْطِ أَنْ يَكُونَ ذَلكَ الصَّبْرُ ﴿ابْتغاء وَجْه رَبِّهِمْ﴾ لا لغَيْرِ ذَلكَ مِنَ المَقَاصِدِ والأَغْرَاضِ الفَاسدَة؛ فَإِنَّ هَذَا الصَّبْرَ النَّافِعَ الَّذي يَحْبِسُ بِهِ العَبْدُ نَفْسَهُ طَلَبًا لمَرْضَاة رَبِّه، وَرَجَاءً للقُرب منْهُ، والحظوة بثوابه، هُوَ الصَّبْرُ الَّذي منْ خَصَائص أَهْلِ الإِيمان، وأَمَّا الصَّبْرُ المُشْتَرَكُ الَّذي غَايَتُهُ التَّجَلُّدُ، ومُنْتَهَاهُ الفَخْرُ، فَهَذَا يَصْدُرُ منَ البَرِّ والفَاجِرِ، والمُؤْمنِ والكَافرِ، فَلَيْسَ هُوَ المَمْدُوحُ عَلَىٰ الحَقيقَة»[1].

٢ - عدَم شَكْوَىٰ الله إِلَىٰ العبَاد:

شَكْوَىٰ الله إِلَىٰ العبَادِ نَاقضٌ منْ نَوَاقضِ الصَّبْر، وتُخْرِجُهُ إِلَىٰ التَّسَخُّطِ والجزَعِ.

قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ - فيمَا يَرْويه عَنْ رَبِّه: «**قَالَ اللهُ - سبحَانَهُ وتَعَالَىٰ -: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدي المُؤْمنَ، فَلَمْ يَشْكُني إِلَىٰ عُوَّاده**[2]**، أَطْلَقْتُهُ منْ أَساري، ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خيرًا مِنْ**

---

(١) «تفسير ابن سعدي» (ص٤١٧).

(٢) عُوَّاده: زُوَّاره، والمفردُ: عائدٌ.

لَحْمِهِ، ودَمَاً خيراً مِنْ دَمِهِ، ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ العَمَلَ»[١].

وإِذَا عَرَتْكَ[٢] بَلِيَّةٌ فَاصْبِرْ لَهَا
صَبْرَ الكَرِيْمِ، فَإِنَّهُ بِكَ أَعْلَمُ
وإِذَا شَكَوْتَ إِلَىٰ ابْنِ آدَمَ إِنَّمَا
تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَىٰ الَّذِي لا يَرْحَمُ

٣ – أَنْ يَكُونَ في سَاعَةِ الْمُصِيبَةِ:

الصَّبْرُ المَحْمُودُ المَأْجُورُ عَلَيهِ صَاحِبُهُ مَا كَانَ في أَوَانِهِ[٣]، أمَّا إِذَا فَاتَ الأَوَانُ فلا فَائِدَةَ مِنْهُ.

لِحَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ – رضي الله عنه – عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: **«يَقُولُ اللهُ – سُبْحَانَهُ –: ابْنَ آدَمَ، إِنْ صَبَرْتَ واحْتَسَبْتَ**[٤]

---

(١) صحيح، رواه الحاكم (١/ ٣٤٩)، والبيهقيّ (٣/ ٣٧٥).
(٢) عرتك: أصابتك.
(٣) أوَانه: وَقْتُهُ.
(٤) احتسبْتَ: رَجَوْتَ ثواب صبرك عَلَىٰ مصابك من اللهِ، وادَّخَرْتَهُ عِنْدَهُ.

عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَىٰ، لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَابًا دُوْنَ الجَنَّة»(١).

وَعَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه - قَالَ: مَرَّ النَّبيُّ - صلى الله عليه وسلم - بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللهَ واصْبِرِي». قَالَتْ: «إِلَيْكَ عَنِّي(٢)؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي». وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبيُّ - صلى الله عليه وسلم -، فَأَتَتْ بَابَ النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابين، فَقَالَتْ: «لَمْ أعرِفْكَ». فَقَالَ - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَىٰ»(٣).

قَالَ الخَطَّابيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -:

«المَعْنَىٰ أَنَّ الصَّبْرَ الَّذي يُحْمَدُ عَلَيْه صَاحِبُهُ مَا كَانَ عِنْدَ مُفَاجَأَةِ المُصِيبَةِ، بِخِلافِ مَا بَعْدَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ مَعَ الأَيَّامِ يَسْلُو»(٤).

---

(١) حسن، رواه ابن ماجه (١٥٩٧)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٢٩٨).

(٢) إليك: اسم فعل أمر بمعنى ابتعد.

(٣) رواه البخاريُّ (١٢٥٧)، واللفظ له، ومسلم (٩٢٦).

(٤) «فتح الباري» (٣/ ١٥٠).

٦ - التَّوَاضع:

التَّوَاضُعُ - في حَقيقَته - هُوَ بَذْلُ الاحْتِرَامِ والعَطْفِ والتَّقْديرِ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ(١)، فَهُوَ دَلِيلٌ علَىٰ كِبَرِ نَفْسِ صَاحِبِهِ وَعُلُوِّ هِمَتِهِ، وسَعَةِ أُفُقِه.

وَسَبَبٌ لِرِفْعَةِ اللهِ لَهُ، ومَنْ رَفَعهُ اللهُ فَمَنْ ذَا الَّذِي سَيَخْفِضُهُ ويَضَعُهُ؟!.

فَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: **«مَا تَواضعَ أَحَدٌ للهِ إلاَّ رَفعَهُ اللهُ»**(٢).

تواضعْ تَكُنْ كَالنَّجْمِ لاحَ لِنَاظِرٍ
عَلَىٰ صَفَحَاتِ المَاءِ، وَهُوَ رَفِيعُ
وَلا تَكُ كَالدُّخَانِ يَعْلُو بِنَفْسِهِ
إِلَىٰ طَبَقَاتِ الجَوِّ، وَهُوَ وَضِيعُ

والكِبرُ خصلة مذمومَةٌ بِكُلِّ لِسانٍ، بَلْ هيَ صِفَةٌ مِنْ

---

(١) «رسائل الإصلاح» (١ / ١٢٧).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨).

صِفَاتِ أَهْلِ النَّارِ؛ فَعَنْ حَارِثَةَ بْن وَهْبٍ الخُزَاعيّ - - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ: «**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ**(١) **جَوَّاظٍ**(٢) **مُسْتَكْبِرٍ**»(٣).

وَكَيفَ يَتَكبَّرُ مَنْ كَانَ مَصِيرُهُ لِلْمَوْتِ والبِلَىٰ، وكَأَنَّ لِسَانُ حَالِ القَبْر يَقُولُ: ابْنَ آدمَ، لا تَتَكَبَّرِ اليَوْمَ عَلَىٰ ظَهْرِي، لأَنَنَّي غَدًا سَوْفَ أَضُمُّكَ في بَطْنِي.

فَيَا شَامِخًا، أَقْصِرْ عَنَانَكَ مقصرًا
فَإِنَّ مَطَايَا الدَّهْرِ تَكْبُو وتَعْثُرُ
سَتَقْرَعُ سِنًّا، أو تَعَضُّ - نَدَامَةً -
يَدَيْكَ إِذَا دَارَ الزَّمَانُ وتبصرُ
وَيَلْقَاكَ مُرشِدٌ بَعْدَ غَيِّكَ وَاعِظٌ
ولَكِنَّهُ يَلْقَاكَ وَالأَمْرُ مُدْبِرُ

(١) العُتُلُّ: الغليظ الفَظُّ الجافي.
(٢) الجَوَّاظ: الضَّخْمُ المختال في مَشْيَته.
(٣) رواه البخاريُّ (٤٩١٨)، ومُسْلَمٌ (٢٨٥٣).

٧ - الحِلْم:

الحِلْمُ مِنْ أَشْرَفِ الأَخْلاقِ، وَأَحَقِّهَا بِذَوي الأَلْبَابِ، وهُوَ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتي يُحِبُّهَا اللهُ؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - أنَّ النَّبيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ لأَشجِّ عَبْدِ القَيْسِ: «**إِنَّ فيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحِبُّهما اللهُ: الحِلْمُ والأَنَاةُ**». قال: يا رَسُولَ الله، أهما خُلُقان تَخَلَّقتُ بهما، أم جَبَلَني اللهُ عليهما؟. قال: «**بَلْ جَبَلَكَ اللهُ عليهما**». فقال: «الحَمْدُ للهِ الذي جبَلَني عَلَىٰ خُلُقَيْنِ يُحِبُّهما اللهُ وَرَسُولُهُ»(١).

وبَلَغَ نَبيُّنَا - صلى الله عليه وسلم - الذُّروةَ والغَايَةَ في حِلمِهِ وَعَفْوِهِ؛ فَقَدْ وَصفَتْ السَّيِّدَةُ عَائشَةُ - رضي الله عنها - خُلُقَ النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، فَقَالَتْ: «**ولا يُجْزي بالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، ولَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ**»(٢).

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (٥٢٢٥)، وصححه الألبانيُّ في صحيح أبي داود (٤٣٥٣).

(٢) صحيح، أخرجه الترمذيُّ (٢٠١٦)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح سُنن التِّرْمذيِّ» (١٦٤٠).

صَفُوحٌ عَنِ الإِجْرَامِ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ
مِنَ العَفْوِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِما
وَلَيْسَ يُبالي أَنْ يَكُونَ بِهِ الأَذَىٰ
إِذا مَا الأَذَىٰ لَمْ يَغْشَ بالكُرْهِ مُسْلِمَا

٨ - الكَرَم:

الكَرَمُ لُبَابُ الأَخْلاقِ الفَاضِلَة، ومَدَارِجُ الفَضِيلَة، وُصِفَت الأَخْلاقُ بِهِ، وشَرُفَتْ بالانْتِسَاب إِلَيْه من بابِ إِضَافَة الصِّفَة للْمَوْصُوف، فَكُلُّ شَيْءٍ يشرفُ في بَابِهِ يُوصَفُ بِهِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أنَّ النَّبيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «**إِنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ** - وفي رُوَايَةٍ: **صَالِحَ** - **الأَخْلاقِ**»[1].

والكَرَمُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ، وكَفَىٰ بذَلِكَ فَخْرًا وشَرَفًا.

فَعَنْ سَلمَانَ الفَارسِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) صحيح، رواه أحمد (٢ / ٣١٨)، والبُخاريُّ في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٢٣٤٩)، و«الصحيحة» (٤٥).

– ﷺ –: «**إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيهِ يَدَيْهِ، فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا**[١]»[٢].

والْكَرَمُ مُرْتَبِطٌ بالإِيمَانِ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا، فَقَدْ وَصَفَ النَّبيُّ – ﷺ – المؤمنَ بقوله: «**المؤمنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، والفَاجِرُ خِبٌّ**[٣] **لئيمٌ**»[٤].

وقال في حديث آخر: «**لا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ والإِيمَانُ في قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا**».

وأَعْظَمُ الكَرَمِ وأَعْلاهُ مَا جَاءَ قَبْلَ السُّؤَالِ، قَالَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ: «أَجَلُّ النَّوالِ[٥] مَا جَاءَ قَبْلَ السُّؤَالِ»[٦].

---

(١) صفرًا: فارغةً.

(٢) صحيح، رواه أبو داود (١٤١٨)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١٧٥٧).

(٣) الخِبُّ – بفَتْحِ الخاء وكسرها –: اللَّئيم الخداع.

(٤) حسن، رواه أبو داود (٤٧٩٠)، وحسَّنَهُ الأَلْبَانيُّ في «صحيح الجامع» (٦٦٥٣).

(٥) النَّوَال: العطاء.

(٦) «أدب الدنيا والدين» (١٨٨).

وَالكَرِيمُ مَحْبوبٌ مِنَ اللهِ محبوبٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ بِرٍّ وَخَيْرٍ.

فَأَحْسَنُ وَجْهٍ في الوَرَىٰ وَجْهُ مُحْسِنٍ
وَأَيْمَنُ كَفٍّ فيهِمُ كَفُّ مُنْعِمِ(١)

والإِنسانُ مَهْمَا جَمَعَ الأَخْلاقَ بأَسْرِهَا وقَصَّرَ في الكَرَمِ، فَلَنْ يَتَرَبَّعَ عَلَىٰ القُلُوبِ كَمَا تَرَبَّعَ عَمْرُو بْنِ الجَموحِ -رضي الله عنه-.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: «**مَنْ سَيِّدُكُمْ، يا بَنِي سَلَمَةَ؟**». قُلْنَا: جَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَىٰ أنَّا نُبَخِّلُهُ. قَالَ: «**وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَىٰ مِنَ البُخْلِ؟!، بَلْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ**»(٢).

وفي هَذا قَالَ شَاعِرُ الأَنْصَارِ:

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ والحَقُّ قَوْلُهُ ـ
لِمَنْ قَالَ مِنَّا: مَنْ تُسَمُّونَ سَيِّدَا؟

(١) ديوان المُتَنبِّي (٤ / ١٤١).
(٢) صحيح، رواه البُخاريُّ في «الأدب المفرد» (٢٩٦)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٧١٠٤).

قَالُوا: هُوَ الجَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى الَّتِي
نُبَخِّلُهُ فِيهَا، وإِنْ كَانَ أَسْوَدَا
فَتَىً مَا تَخَطَّىٰ خُطْوَةً لِرِيبَةٍ(١)
وَلا مَدَّ في يَوْمٍ إِلَىٰ سَوْءَةٍ(٢) يَدَا
فَسُوِّدَ عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ بِجُودِهِ
وحُقَّ لِعَمْرٍو بالنَّدىٰ أَنْ يُسَوَّدَا
إِذَا جَاءَهُ السُّؤَالُ أَذْهَبَ مَالَهُ
وقَالَ: خُذُوهُ، إِنَّهُ عَائِدٌ غَدَا

٩ - إكْرامُ الضَّيْفِ:

إِكْرَامُ الضَّيُفِ مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وجَمِيلِ الخِصَالِ، تَحَلَّىٰ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، وحَثَّ عَلَيْهِ المُرْسَلُونَ، ومَنْ عُرِفَ بالضِّيَافَةِ عُرِفَ بِشَرَفِ المَنْزِلَةِ، وعُلُوِّ المَكَانَةِ.

قَالَ ابْنُ حِبَّانَ: «لَمْ تَكُنِ العَرَبُ تُعِدُّ الجُودَ إِلاَّ قِرَىٰ

---

(١) ريبة: شُبْهَة وتُهْمَة.

(٢) سَوْءَة: الفاحِشَة، جمعها سَوْءات.

الضَّيْفِ، وإِطْعَامَ الطَّعَامِ، ولا تُعِدُّ السَّخيَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ فيه ذَلكَ»(١).

وَقَدْ حَثَّ النَّبيُّ - ﷺ - علَىٰ إِكْرَامِ الضَّيْفِ؛ فَعن أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - : «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بَاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»(٢).

وَقَالَ النَّبيُّ - ﷺ - لعَبْدِ اللهِ بْنُ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - : «**إِنَّ لزَوْرِكَ(٣) عَلَيْكَ حقًا**»(٤).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: خَطَبَ النَّبيُّ - ﷺ - يَوْمَ تَبُوْكَ، فَقَالَ: «**مَا مِنَ النَّاسِ مِثْلُ رَجُلٍ آخذ بِعَنَان فَرَسِه، فيُجَاهِدُ في سَبيلِ اللهِ، ويَجْتَنِبُ شُرُورَ النَّاسِ، ومِثْلُ رَجُلٍ في غَنَمِه يَقْرِي ضَيْفَهُ، ويُؤَدِّي حَقَّهُ**»(٥).

وَمِنْ تَمَامِ الضِّيَافَةِ أَنْ تَفْرَحَ بِمَقْدَمِ ضَيْفِكَ، وَتُظْهِرَ لَهُ

---

(١) «روضة العُقلاء» (٢٥٩).
(٢) رواهُ البُخاريُّ (٦٠١٨)، ومُسلم (٤٧).
(٣) الزَّوْرُ: الضَّيفُ.
(٤) رَوَاهُ البخاريُّ (١٩٧٤)، ومسلم (١١٥٩).
(٥) صحيح، رواه أحمد (١/ ٣١١).

البِشْرَ، وَأَنْ تُلاطِفَهُ بِحُسْنِ الحَدِيث، وَتَشْكُرَهُ عَلَىٰ تَفَضُّله وَمَجِيئِه، وَتَقُومَ بِخِدْمَته، وَتُظْهِرَ لَهُ الغِنَىٰ وبَشَاشَةَ الوَجْه؛ فَقَدْ قِيلَ: «البَشَاشَةُ فِي الوَجْهِ خَيرٌ مِنَ القِرَىٰ».

وَقِيلَ: «مِنْ تَمَامِ الضِّيَافَةِ الطَّلاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وإِطَالَةُ الحَدِيث عِنْدَ أَكْله»[1].

إِذَا المَرْءُ وَافَىٰ مَنْزِلَكَ قَاصِداً
قِرَاكَ وأَرْمَتْهُ لَدَيْكَ المَسَالِكُ
فَكُنْ بَاسِمًا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلاً
وقُلْ مَرْحَبًا أَهْلاً وَيَوْمٌ مُبَارَكُ
وقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ القِرَىٰ
عَجُولاً ولا تَبْخَل بِمَا هُوَ هَالِكُ
فَقَدْ قِيلَ بِبيتٍ سَالِفٍ مُتَقَدِّمٍ
تَداولَهُ زَيْدٌ وعَمْر ومَالِكُ
بَشَاشَةُ وَجْهِ المَرْءِ خَيْرٌ من القِرَىٰ
فَكَيْفَ بِمَنْ يَأْتِي وهُوَ ضَاحِكُ

---

(١) «البيان والتَّبيين» للجاحظ (١ / ١٠).

١٠ - المُرُوءَةُ:

المُرُوءَةُ هيَ جِمَاعُ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، ومَحَاسِنُ الآدَابِ، وكَمَالُ الرُّجُولَةِ؛ فَهِيَ تَبْعَثُ عَلَىٰ إِجْلَالِ صَاحِبِهَا، وامْتِلاءِ الأَعْيُنِ بِمَهَابَتِه، ومنَ الحِكَمِ السَّائِرَةِ:

«ذُو المُرُوءَةِ يُكْرَمُ، وإِنْ كَانَ مُعْدِمًا[١]، كَالأَسَدِ يُهَابُ، وإِنْ كَانَ رَابِضًا[٢]، ومَنْ لا مُرُوءَةَ لَهُ يُهَانُ، وإِنْ كَانَ مُوسِرًا، كَالْكَلْبِ يُهانُ وَإِنْ طُوِّقَ[٣] وحُلِّيَ بالذَّهَبِ»[٤].

حَقِيقَةُ المُرُوءَةِ:

«هي قُوَّةٌ لِلنَّفْسِ، مَبْدَأٌ لِصُدُورِ الأَفْعَالِ الْجَمِيلَةِ عَنْهَا، المُسْتَتْبِعَةِ لِلْمَدْحِ شَرْعًا، وَعَقْلاً، وعُرْفًا»[٥].

وَحَدُّها كَمَا قَالَ الفُقَهَاءُ: «هيَ اسْتِعْمَالُ مَا يُجَمِّلُ العَبْدَ ويَزِيِّنُهُ، وتَرْكُ مَا يُدَنِّسُهُ ويُشِينُهُ»[٦].

---

(١) مُعْدِمًا: فقيرًا.
(٢) رَابِضًا: مُقيمًا وساكنًا.
(٣) طُوِّقَ: لبسَ الطَّوْقَ الَّذي يُوضَعُ في العُنُق للزِّينَة.
(٤) «المروءة وخوارمها» (٤١) لمشهور بن حسن - حفظه الله - .
(٥) «عين الأدب والسِّيَاسَة» (١٣٢، ١٣٣).
(٦) «تهذيب مدارج السّالكين» (٢/ ٦٩٧).

وقِيلَ: «المُرُوءَةُ: اسْتِعْمَالُ كُلِّ خُلُقٍ حَسَنٍ، واجْتِنَابُ كُلِّ خُلُقٍ قَبيحٍ»(١).

إنَّ المُرُوءةَ لَيْسَ يُدْرِكُهَا امْرُؤٌ
وَرِثَ المُرُوءةَ عَنْ أَبٍ فَأَضَاعَهَا
أَمَرَتْهُ نَفْسٌ بالدَّنَاءَةِ والخَنَا
ونَهَتْهُ عَنْ سُبُلِ العُلاَ فَأَطَاعَهَا
فَإِذا أَصَابَ مِنَ الأُمُورِ عَظِيمَةً
يَبْنِي الكَرِيمُ بِهَا المُرُوءةَ بَاعَهَا

١١- المُدَارَةُ:

والمُداراةُ دَلِيلٌ علَىٰ كَمَالِ العَقْلِ، وَحُسْنِ الخُلُقِ، وَمَتَانَةِ الدِّينِ، وَلاَبُدَّ مِنْهَا في الحَيَاةِ لاتِّقَاءِ شَرِّ الأَشْرَارِ، وَدَوَامِ مُعَاشَرَةِ الأَخْيَارِ، وهِي خُلُقٌ مِنْ أَخْلاقِ المُؤْمِنِينَ.

فَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ عَلَىٰ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

---

(١) المرجع السابق (٢ / ٦٩٧).

رَجُلٌ، فَقَالَ: «ائْذَنُوا لَهُ، فَبِئْسَ ابنُ العَشِيْرَةِ[١] - أو «بِئْسَ أخو العَشِيرةِ -». فَلَمَّا دَخَلَ أَلانَ لَهُ الكَلامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يا رسولَ الله، قُلْتَ له مَا قُلتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ في القَوْلِ؟!. فَقَالَ: «أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلةً عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ - أو «وَدَعَهُ» - النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»[٢].

قَالَ ابنُ بَطَّالٍ - رَحِمَهُ اللهُ - : «المُدَاراةُ مِنْ أَخْلاقِ المؤمنين، وهِيَ مِنْ أَقْوَىٰ أَسْبَابِ الأُلْفَةِ بَيْنَهُمْ، فَإِنْ قَالَ بَعْضُهُم: إِنَّ المُدَارَاةَ هِيَ المُدَاهَنَةُ، وَهَذَا غَلَطٌ؛ لأَنَّ المُدَاراةَ مَنْدوبٌ إِلَيْهَا، والمُداهَنَةُ مُحَرَّمَةٌ، والفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ المُدَاهَنَةَ مِنَ الدِّهَانِ، وهوَ الَّذي يُظْهِرُ الشَّيْءَ، ويَسْتُرُ بَاطِنَهُ، وقَدْ فَسَّرَهَا العُلَمَاءُ بِأَنَّهَا: مُعَاشَرَةُ الفَاسِقِ في النَّهْيِ عَنْ فِعْلِه، وتَرْكُ الإِغْلاظِ عَلَيْه حَيْثُ لا يُظْهِرُ ما هُوَ فيه، والإِنْكَارُ عَلَيْه بِلُطْفِ القَوْلِ والفِعْلِ، ولا سِيَّمَا إِذَا احْتِيجَ إِلَىٰ تَأْلِيفِه»[٣].

---

(١) العشيرة: القبيلة، أي بِئْسَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْهَا.

(٢) رواه البخاريُّ (٦٠٣٢)، ومُسْلمُ (٢٥٩١).

(٣) «فتح الباري» (١٠/٥٤٥).

أَخي، النَّاسُ لَهُمْ طَبَائِعُ مُخْتَلفَة، فكما يشُقُّ عَلَيْكَ تَرْكُ ما جُبِلْتَ علَيْه، فَكَذَلكَ يَشُقُّ عَلَىٰ غَيرِكَ مُجَانَبة مِثْله، فَعَاشِرْهُمْ، مُرَاعيًا طَبَائِعَهُمْ؛ فَلَيْسَ إِلَىٰ العافيةِ مِنَ النَّاسِ سَبيلٌ إلاَّ بِمُدَارَاتِهِم.

قَال مُعاوِيَة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : «لَوْ أنَّ بَيْني وبَيْنَ النَّاسِ شَعْرَةً مَا انْقَطَعَتْ. قِيلَ: وكَيْف؟!. قَالَ: لأنَّهُمْ إنْ مَدُّوها خَلَّيْتُهَا، وإنْ خَلَّوْا مَدَدْتُها»(١).

وَقَالَ الخَطابيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - :

مَا دُمْتَ حَيّاً فَدارِ النَّاسَ كُلَّهُمْ
فَإِنَّمَا أَنْتَ في دَارِ المُدَارَاةِ
مَنْ يَدْرِ دَارَىٰ، ومَنْ لَمْ يَدْرِ سَوْفَ يُرَىٰ
عَمَّا قَليلٍ نَدِيمًا لِلنَّدَامَاتِ(١)

---

(١) «روضة العقلاء» (٧٢).
(٢) «الآداب الشرعية» (١/ ٥٤).

١٢- الصدْقُ:

الصدْقُ خصْلةٌ محْمُودَةُ الأثَرِ، وسَجيَّةٌ ممْدُوحَةُ الخُلُقِ، وَطَرِيقٌ إِلَىٰ الجَنَّةِ مروراً بالبِرِّ، وإنْ لَزمْتَ الصِّدْقَ في حيَاتِكَ كُلِّهَا كُتبْتَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً.

فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: **«إنَّ الصِّدْقَ يَهْدي إِلَىٰ البرِّ، وإنَّ البرَّ يهْدي إلىٰ الجَنَّة، وإنَّ الرَّجُلَ ليَصْدُقُ حتَّىٰ يُكْتَبَ عندَ اللهِ صدِّيقًا، وإنَّ الكَذِبَ يَهْدي إلَىٰ الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدي إلَىٰ النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حتَّىٰ يُكْتَبَ عندَ اللهِ كَذَّابًا»**[١].

والصِّدقُ طُمَأْنينةٌ، وصَاحِبُه كَريمٌ عَزيزٌ، والكَذِبُ رِيْبةٌ، وصَاحِبُهُ مَهِينٌ ذَليلٌ.

فَعَنِ الحَسَنِ بْنِ عليٍّ -رضي الله عنهما- قَالَ: حَفظْتُ منَ رسولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: **«دَعْ ما يَرِيبُكَ[٢] إلَىٰ مَا لاَ يَرِيبُكَ، فإنَّ الصِّدْقَ**

---

(١) رواه البخاريُّ (٦٠٩٤)، ومُسْلمُ (٢٦٠٧).

(٢) مَا يريبُكَ: مَا تَشُكُّ في حِلِّه.

طُمَأْنِينَةٌ، والكَذِب رِيبَةٌ»[١].

إِذا قُلْتُ قَوْلاً كُنْتُ لِلْقَوْلِ فَاعِلاً
وكَانَ حَيَائِي كَافِلِي وضَمِينِي

تُبَشِّرُ عَنِّي بالوَفَاءِ بَشَاشَتِي
وَيَنْطِقُ نُورُ الصِّدْقِ فَوْقَ جَبِيْنِي

١٣- حِفْظُ اللِّسَانِ:

مَنَحَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - الإِنْسَانَ نِعَمَاً عظيمَةً، ومِنْ أَعْظَمِهَا نِعْمَةُ اللِّسَانِ.

ومِنْ شُكْرَانِ هَذه النِّعْمَةِ أنْ نَسْتَخْدِمَهَا في طَاعَةِ اللهِ؛ لأَنَّ الإِنْسَانَ مَسْئولٌ عَمَّا قَالَهُ أَوْ تَلَفَّظَ بِهِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ -: ﴿ وَلَا تَقْفُ[٢] مَا لَيْسَ لَكَ

---

(١) صحيح، رواه الترمذيُّ (٢٥١٨)، وروىٰ سطره الأوَّل النَّسائيُّ (٥٧١٤)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٣٣٧٨).

(٢) ولا تَقْفُ: أي لا تتَّبع.

بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وَقَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١) ﴾ [ق: ١٨].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (٢).

قَالَ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وَهَذَا الحَدِيثُ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي ألاَّ يَتَكَلَّمَ إِلاَّ إِذَا كَانَ الكَلامُ خَيْرًا، وهُوَ الَّذِي ظَهَرَتْ مَصْلَحَتُهُ، وَمَتَىٰ شَكَّ في ظُهُورِ المَصْلَحَةِ، فَلا يَتَكَلَّم» (٣).

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «ومِنَ العَجَبِ أنَّ الإِنْسَانَ

(١) رَقيبٌ عَتيد: مَلَكٌ يرقبهُ حاضرًا.

(٢) رواه البُخاريُّ (٦٠١٨)، ومُسْلِمْ (٤٧).

(٣) «رياضُ الصَّالحينَ» (٤٤٥).

يَهُونُ عَلَيْهِ التَّحَفُّظُ والاحْتِرَازُ مِنْ أَكْلِ الحَرَامِ والظُّلْمِ، والسَّرِقَةِ، وشُرْبِ الخَمْرِ، ومِنَ النَّظَرِ المُحَرَّمِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَيَصْعُبُ عَلَيْهِ التَّحَفُّظُ مِنْ حَرَكَةِ لِسَانِهِ»(١).

الصَّمْتُ زَيْنٌ، والسُّكُوتُ سَلامَةٌ
فَإِذا نَطَقْتَ فَلا تَكُنْ مِكْثَارًا
فَإِذَا نَدِمْتَ عَلَىٰ سُكُوتِكَ مَرَّةً
فَلَتَنْدَمَنَّ عَلَىٰ الكَلامِ مِرَارًا

آفَاتُ اللِّسَانِ:

آفَاتُ اللِّسَانِ كَثِيرَةٌ، فَمِنْهَا: الغِيْبَةُ، والنَّمِيمَةُ، والكَذِبُ، واللَّعْنُ، والسُّخْرِيَةُ، والبَذَاءَةُ، والتَّفَحُّشُ في القَوْلِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَإِفْشَاءُ الأَسْرَارِ.. وكلها مِنْ مَسَاوي الأَخْلاقِ، تَدُلُّ عَلَىٰ حَقَارةِ الشَّأْنِ، وسُقُوطِ الهِمَّةِ، وسَفَهِ العَقْلِ، وسَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ قَطْعِ وَشَائجِ المَحَبَّةِ، وإيقَاعُ العَدَاوَةِ والبَغْضَاءِ.

(١) «الجَوَابُ الكافي» (٥٤).

أَبَعْدَ الصَّفَاءِ وَمَحْضِ الإِخَاءِ
يُقِيمُ الْجَفَاءُ بِنَا يخْطُبُ
وَقَدْ كَانَ مَشْرَبُنَا صَافِيًا
زَمَانًا فَهَلْ كُدِّرَ الْمَشْرَبُ؟!

فهرس

كُتب للمؤلف

١ - فن الحوار.

٢ - الأخلاق بين الطبع والتطبع .

٣ - الصحيح من الأثر في خطب المنبر

٤ - تحفة الخطيب.

٥ - طريقنا للقلوب.

٦ - نعمة الإخوة.

٧ - جفاف المشاعر.

٨ - تسهيل البلاغة.

٩ - حادي الصديق إلى بيت الله العتيق.

١٠ - منتقى الفوائد ١/٣ .

١١ - التاج المفقود.

١٢ - فتنة النظر.

١٣ - الخطاب البليغ.

١٤ - منتقى الأشعار.

١٥ - نزهة الأحباب، شرح منظومة الآداب.

١٦ - ملك القلوب.

١٧ - المنتقى من الأحاديث القدسية الصحيحة.

١٨ - بلدة طيبة.

١٩ - الإمام الوادعي، حياته وآثاره.

٢٠ - صحيح السنة بتراجم نساء نبي هذه الأمة.

٢١ - حرز المسلم.

٢٢ - رسالة أخوية.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



من إصداراتنا

لأبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

* فن الحوار.
* التاج المفقود.
* طريقنا للقلوب.
* نعمة الأخوة.
* ملك القلوب.
* منتقى الأشعار.
* تسهيل البلاغة.
* منتقى الفوائد ١/٢
* كيف تنال محبة الله.
* الخطاب البليغ في جماعة التبليغ.
* الصحيح من الأثر في خطب المنبر.
* حادي الصديق إلى بيت الله العتيق.
* المنتقى من الأحاديث القدسية.
* نزهة الأحباب شرح منظومة الاداب.
* تحفة الخطيب (أصول الخطابة - آدابها - صفات الخطيب).

التوزيع في القاهرة: الغربية للتوزيع خلف الجامع الأزهر
شارع الإمام محمد عبده - أول درب الأتراك - ت: ٥١٢٠٦٢١ /٠٠٢٠٢

داركم المتميزة



